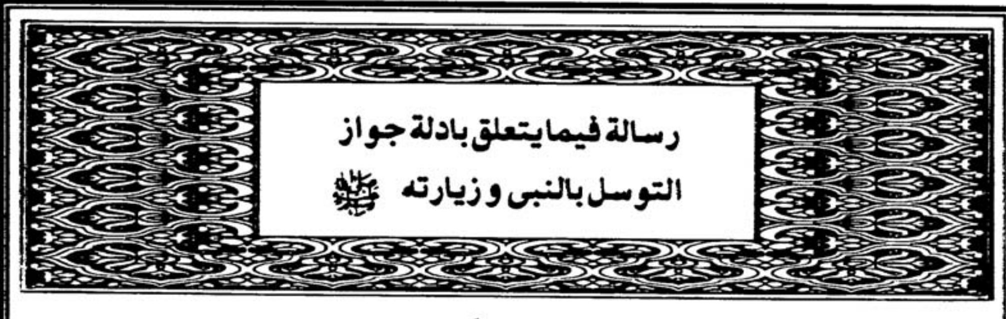


رسالة فيما يتعلق بادلة جواز التوسل بالنبى و زيارته ﷺ

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى فضل سيدنا محمدا صلى الله عليه و سلم على سائر المخلوقات ❁ و شرف أمته على سائر الامم و أعلى لهم الدرجات ❁ و على آله و أصحابه المقتفين آثاره و من تبعهم فى جميع الحالات (أما بعد) فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب و الآثام ❁ المفتقر الى ربه المنان ❁ أحمد بن زينى دحلان ❁ غفر الله له و لوالديه ❁ و مشايخه و محبيه و المسلمين أجمعين قد سألنى من لا تسعنى مخالفته ان أجمع له ما تمسك به أهل السنة فى زيارة النبى صلى الله عليه و سلم و التوسل به من الدلائل او الحجج القوية من الآيات و الاحاديث النبوية و ما ورد فى ذلك عن السلف و العلماء و الائمة المجتهدين ليكون ذلك مبطلا انكار المنكرين فجمعت له هذه الرسالة من كتب كثيرة و اختصرتها غاية الاختصار اعتمادا على ما هو مبسوط فى كتب العلماء الاخيار ❁ فاستعين الله و أقول اعلم رحمك الله انّ زيارة قبر نبينا صلى الله عليه و سلم مشروعة مطلوبة بالكتاب و السنة و اجماع الامّة ❁ أما الكتاب فقوله تعالى و لو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما دلت الآية على حث الامة على المجئ اليه صلى الله عليه و سلم و الاستغفار عنده و استغفاره لهم و هذا لا ينقطع بموته و دلت أيضا على تعليق وجدانهم الله توابا رحيما بمجيئها و استغفارهم و استغفار الرسول لهم (فأما) استغفاره صلى الله عليه و سلم فهو حاصل لجميع المؤمنين بنص قوله تعالى (و استغفر لذنبك و للمؤمنين و المؤمنات) و صح فى صحيح مسلم ان

بعض الصحابة فهم من الآيات ذلك المعنى الذى دلت عليه هذه الآية فاذا وجد مجيئهم و استغفارهم فقد تكملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى و رحمته و سيأتى فى الاحاديث الآتية ما يدل على أن استغفاره صلى الله عليه و سلم لا يتقيد بحال حياته و قد علم من كمال شفقته صلى الله عليه و سلم انه لا يترك ذلك لمن جاء مستغفرا ربه سبحانه و تعالى و الآية الكريمة و ان وردت فى قوم معينين فى حال الحياة نعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف فى حال الحياة و بعد الممات و لذلك فهم العلماء منها العموم للجائين و استحبوا لمن أتى قبره صلى الله عليه و سلم أن يقرأها مستغفرا الله تعالى و استحبوها للزائر و رأوها من آدابه التى يسنّ له فعلها و ذكرها المصنفون فى المناسك من أهل المذاهب الاربعة و دلت الآية أيضا على انه لا فرق فى الجائى بين أن يكون مجيئه بسفر أو غير سفر لوقوع جاؤك فى حيز الشرط الدال على العموم * قال تعالى و من يخرج من بيته مهاجرا الى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله و لا شك عند من له أدنى مسكة من ذوق العلم أن من خرج لزيارة رسول الله صلى الله عليه و سلم يصدق عليه انه خرج مهاجرا الى الله و رسوله لما يأتى من الاحاديث الدالة على ان زيارته صلى الله عليه و سلم بعد وفاته كزيارته فى حياته و زيارته فى حياته داخلة فى الآية الكريمة قطعا فكذا بعد وفاته بنص الاحاديث الشريفة الآتية ﴿و أما السنة﴾ فما يأتى من الاحاديث ﴿و أما﴾ القياس فقد جاء أيضا فى السنة الصحيحة المتفق عليها الامر بزيارة القبور فقبر نبينا صلى الله عليه و سلم منها أولى و أحرى و أحق و أعلى بل لا نسبة بينه و بين غيره (و أيضا) فقد ثبت انه صلى الله عليه و سلم زار أهل البقيع و شهداء أحد فقبره الشريف أولى لما له من الحق و وجوب التعظيم و ليست زيارته صلى الله عليه و سلم الا لتعظيمه و التبرك به و لينال الزائر عظيم الرحمة و البركة بصلاته و سلامه عليه صلى الله عليه و سلم عند قبره بحضرة الملائكة الحافين به صلى الله عليه و سلم (و أما اجماع المسلمين) فقد قال العلامة ابن حجر فى الجوهر المنظم فى زيارة قبر النبى المعظم صلى الله عليه و سلم قد نقل جماعة من الائمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار و

المعوّل و الاجماع و انما الخلاف بينهم فى أنها واجبة أو مندوبة فمن خالف فى مشروعية الزيارة فقد خرق الاجماع ﴿و احتج القائلون بوجوب الزيارة﴾ بقوله صلى الله عليه و سلم من حج البيت و لم يزرنى فقد جفانى رواه ابن عدى بسند يحتج به قال و جفاؤه صلى الله عليه و سلم حرام فعدم زيارته المتضمن لجفائه حرام ❋ و أجاب الجمهور القائلون بندب الزيارة بأن الجفاء من الامور النسبية فقد يقال فى ترك المندوب انه جفاء اذ هو ترك البر و الصلة و يطلق أيضا على غلظ الطبع و البعد عن الشئ فأكثر العلماء من الخلف و السلف على ندبها دون وجوبها و على كل من القولين فالزيارة و مقدماتها من نحو السفر من أهم القربات و أنجح المساعى و يدل لذلك أحاديث كثيرة صحيحة صريحة لا يشك فيها الامن انطمس نور بصيرته ❋ منها قوله صلى الله عليه و سلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى و فى رواية حلت له شفاعتى رواه الدارقطنى و كثير من ائمة الحديث و قد أطال الامام السبكى فى كتابه المسمى شفاء السقام فى زيارة قبر خير الانام طرق هذا الحديث و بيان من صححه من الائمة ثم ذكر روايات فى أحاديث الزيارة كلها تؤيد هذا الحديث منها رواية من زارنى بعد موتى فكانما زارنى فى حياتى و فى رواية من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتى كان حقا على ان أكون له شفيعا يوم القيامة و فى رواية من جاءنى زائرا كان له حقا على الله عزّ و جلّ أن اكون له شفيعا يوم القيامة و فى رواية لابى يعلى و الدارقطنى و الطبرانى و البيهقى و ابن عساكر من حج فزار قبرى و فى رواية فزارنى بعد وفاتى عند قبرى كان كمن زارنى فى حياتى و فى رواية من حج فزارنى فى مسجدى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى و فى رواية من زارنى الى المدينة كنت له شفيعا و شهيدا و فى رواية من زارنى الى المدينة كنت له شفيعا و شهيدا و من مات بأحد الحرمين بعثه الله فى الآمنين يوم القيامة رواه بهذه الزيادة أبوداود الطيالسى ثم ذكر أحاديث كثيرة كلها تدل على مشروعية الزيارة لا حاجة لنا الى الاطالة بذكرها فتلك الاحاديث كلها مع ما ذكرناه صريحة فى ندب بل تأكد زيارته صلى الله عليه و سلم حيا و ميتا للذكر و الانثى و كذا زيارة بقية الانبياء و الصالحين و الشهداء و الزيارة شاملة للسفر لانها تسند على الانتقال من مكان الزائر الى

مكان المزور كلفظ المجئ الذى نصبت عليه الآية الكريمة و اذا كانت كل زيارة قربة كان كل سفر اليها قربة و قد صح خروجه صلى الله عليه و سلم لزيارة قبور أصحابه بالبقيع و بأحد فاذا ثبت مشروعية الانتقال لزيارة قبر غيره صلى الله عليه و سلم فقبره الشريف أولى و أحرى و القاعدة المتفق عليها ان وسيلة القربة المتفق عليها قربة أى من حيث ايصالها اليها فلا ينافى أنه قد ينضم اليها محرم من جهة أخرى كمشى فى طريق مغصوب صريحة فى أن السفر للزيارة قربة مثلها و من زعم ان الزيارة قربة فى حق القريب فقط فقد افترى على الشريعة الغراء فلا يعول عليه و أما تخيل بعض المحرومين أن منع الزيارة أو السفر اليها من باب المحافظة على التوحيد و ان ذلك ممّا يؤدى الى الشرك فهو تخيل باطل لان المؤدى الى الشرك انما هو اتخاذ القبور مساجد و العكوف عليها و تصوير الصور فيها كما ورد فى الاحاديث الصحيحة بخلاف الزيارة و السلام و الدعاء و كل عاقل يعرف الفرق بينهما و يتحقق ان الزيارة اذا فعلت مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدى الى محذور البتة و ان القائل بالمنع منها سدا للذريعة متقول على الله و على رسوله صلى الله عليه و سلم ﴿و هنا أمران لابد منهما﴾ أحدهما وجوب تعظيم النبى صلى الله عليه و سلم و رفع رتبته عن سائر الخلق و الثانى فراد الربوبية و اعتقاد ان الرب تبارك و تعالى متفرد بذاته و صفاته و أفعاله عن جميع خلقه فمن اعتقد فى مخلوق مشاركة البارى سبحانه و تعالى فى شئ من ذلك فقد أشرك و من قصر بالرسول صلى الله عليه و سلم عن شئ من مرتبته فقد عصى و كفر و من بالغ فى تعظيمه صلى الله عليه و سلم بأنواع التعظيم و لم يبلغ به ما يختص بالبارى سبحانه و تعالى فقد أصاب الحق و حافظ على جانب الربوبية و الرسالة جميعا و ذلك هو القول الذى لا افراط فيه و لا تفريط ❋ و أما قوله صلى الله عليه و سلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام و مسجدى هذا و المسجد الاقصى فمعناه أن لا تشد الرحال الى مسجد لاجل تعظيمه و الصلاة فيه الا الى المساجد الثلاثة فانها تشد الرحال اليها لتعظيمها و الصلاة فيها و هذا التقدير لابد منه و لو لم يكن التقدير هكذا لاقتضى منع شد الرحال للحج و الجهاد و الهجرة من دار الكفر و لطلب العلم و تجارة

الدنيا و غير ذلك و لا يقول بذلك أحد قال العلامة ابن حجر فى الجوهر المنظم و مما يدل أيضا لهذا التأويل للحديث المذكور التصريح به فى حديث سنده حسن و هو قوله صلى الله عليه و سلم لا ينبغى للمطى ان تشد رحالها الى مسجد ينبغى الصلاة فيه غير المسجد الحرام و مسجدى هذا و المسجد الاقصى و بالجملة فالمسألة واضحة جلية قد أفردت بالتأليف فلا حاجة الى الاطالة بأكثر من هذا فان من نور الله بصيرته يكتفى بأقل من هذا و من طمس الله بصيرته فما تغنى عنه الآيات و النذر ❁ و أما التوسل فقد صح صدوره من النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه و سلف الامة و خلفها أما صدوره من النبى صلى الله عليه و سلم فقد صح فى أحاديث كثيرة منها انه صلى الله عليه و سلم كان يقول فى دعائه اللّهم انى أسألك بحق السائلين عليك و هذا توسل لا شك فيه و صح فى أحاديث كثيرة انه كان يأمر أصحابه ان يدعوا به منها ما رواه ابن ماجة بسند صحيح عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللّهم انى أسألك بحق السائلين عليك و أسألك بحق ممشاى هذا اليك فانى لم أخرج أشرا و لا بطرا و لا رياء و لا سمعة خرجت اتقاء سخطك و ابتغاء مرضاتك فاسألك أن تعيذنى من النار و ان تغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت أقبل الله عليه بوجهه و استغفر له سبعون ألف ملك و ذكر الحديث الجلال السيوطى فى الجامع الكبير و ذكره أيضا كثير من الائمة فى كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج الى الصلاة حتى قال بعضهم ما من أحد من السلف الا و كان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه الى الصلاة فانظر قوله بحق السائلين عليك فان فيه التوسل بكل عبد مؤمن ❁ و روى الحديث المذكور أيضا ابن السنى باسناد صحيح عن بلال رضى الله عنه مؤذن رسول الله صلى الله عليه و سلم و لفظه كان رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا خرج الى الصلاة قال بسم الله آمنت بالله و توكلت على الله و لا حول و لا قوة بالله اللّهم انى أسئلك بحق السائلين عليك و بحق مخرجى هذا فانى لم أخرج بطرا و لا أشرا و لا رياء و لا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك و اتقاء سخطك أسئلك أن تعيذنى من النار و أن تدخلنى الجنة ❁ و رواه الحافظ

أبونعيم فى عمل اليوم و الليلة من حديث أبى سعيد بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا خرج الى الصلاة قال اللّهم انى أسئلك بحق السائلين عليك الى آخر الحديث المتقدم رواه البيهقى فى كتاب الدعوات من حديث أبى سعيد أيضا و محل الاستدلال قوله أسئلك بحق السائلين عليك فعلم من هذا كله أن التوسل صدر من النبى صلى الله عليه و سلم و أمر أصحابه أن يقولوه و لم يزل السلف من التابعين و من بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة و لم ينكر عليهم أحد فى الدعاء به (و مما جاء) عنه صلى الله عليه و سلم من التوسل انه كان يقول فى بعض أدعيته بحق نبيك و الانبياء الذين من قبلى قاله العلامة ابن حجر فى الجوهر المنظم رواه الطبرانى بسند جيد * و من ذلك قوله صلى الله عليه و سلم اغفر لامّى فاطمة بنت أسد و وسع عليها مدخلها بحق نبيك و الانبياء الذين من قبلى و هذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبرانى فى الكبير و الاوسط و ابن حبان و الحاكم و صححوه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم على ابن أبى طالب رضى الله عنه و كانت ربت النبى صلى الله عليه و سلم دخل عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم عند رأسها و قال رحمك الله يا أمّى بعد أمي و ذكر ثناءه عليها و تكفينها ببردة و أمره بحفر قبرها فلما بلغها اللحد حفره صلى الله عليه و سلم بيده و أخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل صلى الله عليه و سلم فاضطجع فيه ثم قال الله الذى يحيى و يميت و هو حى لا يموت اغفر لامى فاطمة بنت أسد و وسع عليها مدخلها بحق نبيك و الانبياء الذين من قبلى فانك أرحم الراحمين (و روى) ابن أبى شيبة عن جابر رضى الله عنه مثل ذلك و كذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضى الله عنهما * و رواه أبونعيم فى الحلية عن أنس رضى الله عنه ذكر ذلك كله الحافظ جلال الدين فى الجامع الكبير (و من الاحاديث) الصحيحة التى جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذى و النسائى و البيهقى و الطبرانى باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف و هو صحابى مشهور رضى الله عنه ان رجلا ضريرا أتى الى النبى صلى الله عليه و سلم فقال أدع الله أن يعافينى فقال ان شئت دعوت و ان شئت صبرت و هو خير قال فادعه

فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه و يدعو بهذا الدعاء اللّهم انى أسئلك و أتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى لتقضى اللّهم شفعه فىّ فعاد و قد أبصر ❀ و فى رواية قال ابن حنيف فو الله ما تفرقنا و طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كان لم يكن به ضر قط ففى هذا الحديث التوسل و النداء أيضا و خرّج هذا الحديث أيضا البخارى فى تاريخه و ابن ماجه و الحاكم فى المستدرك باسناد صحيح و ذكره الجلال السيوطى فى الجامع الكبير و الصغير و ليس لمنكر التوسل أن يقول ان هذا انما كان فى حياة النبى صلى الله عليه و سلم لان قوله ذلك غير مقبول لان هذا الدعاء استعمله الصحابة رضى الله عنه و التابعون أيضا بعد وفاته صلى الله عليه و سلم لقضاء حوائجهم فقد روى الطبرانى و البيهقى ان رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى زمن خلافته فى حاجة فكان لا يلتفت اليه و لا ينظر اليه فى حاجته فشكى ذلك لعثمان بن حنيف الراوى للحديث المذكور فقال له ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصلّ ثم قل اللّهم انى أسئلك و أتوجه اليك بنبينا محمد نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك لتقضى حاجتى و تذكر حاجتك فأطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان بن عفان رضى الله عنه فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان رضى الله عنه فأجلسه معه و قال له اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال جزاك الله خيرا ما كان ينظر لحاجتى حتى كلمته لى فقال ابن حنيف و الله ما كلمته و لكن شهدت رسول الله صلى الله عليه و سلم و أتاه ضرير فشكا اليه ذهاب بصره الى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل و نداء بعد وفاته صلى الله عليه و سلم ❀ و روى البيهقى و ابن أبى شيبة باسناد صحيح ان الناس أصابهم قحط فى خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن كارث رضى الله عنه و كان من أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم الى قبر النبى صلى الله عليه و سلم و قال يا رسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المنام و أخبره انهم يسقون و ليس الاستدلال بالرؤيا للنبى صلى الله عليه و سلم فان رؤياه و ان

كانت حقا لا تثبت بها الاحكام لامكان اشتباه الكلام على الرائى لا لشك فى الرؤيا و انما الاستدلال بفعل الصحابى و هو بلال بن كارث رضى الله عنه فأتيانه لقبر النبى صلى الله عليه و سلم و نداؤه له و طلبه منه أن يستسقى لامته دليل على ان ذلك جائز و هو من باب التوسل و التشفع و الاستغاثة به صلى الله عليه و سلم و ذلك من أعظم القربات و قد توسل به صلى الله عليه و سلم أبوه آدم عليه السلام قبل وجود سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم حين أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها و حديث توسل آدم عليه السلام بالنبى صلى الله عليه و سلم رواه البيهقى باسناد صحيح فى كتابه المسمى دلائل النبوّة الذى قال فيه الحافظ الذهبى عليك به فان كله هدى و نور فرواه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسئلك بحق محمد الا ما غفرت لى فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمدا و لم أخلقه قال يا رب انك لما خلقتنى رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الاّ الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الاّ أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لأحب الخلق الىّ و اذا سألتنى بحقه فقد غفرت لك و لولا محمد ما خلقتك رواه الحاكم و صححه و الطبرانى و زاد فيه و هو آخر الانبياء من ذريتك و الى هذا التوسل أشار الامام مالك رضى الله عنه للخليفة المنصور و ذلك انه لما حج المنصور و زار قبر النبى صلى الله عليه و سلم سأل الامام مالكا رضى الله عنه و هو بالمسجد النبوى فقال للامام مالك يا أبا عبد الله أستقبل القبلة و أدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم و أدعو فقال له الامام مالك و لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله و استشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى و لو انّهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّابا رحيما ذكره القاضى عياض فى الشفاء و ساقه باسناد صحيح و ذكره الامام السبكى فى شفاء السقام و السيد السمهودى فى خلاصة الوفاء و العلامة القسطلانى فى المواهب اللدنية و العلامة ابن حجر فى الجوهر المنظم و ذكره كثير من أرباب المناسك فى اداب الزيارة ❁ قال العلامة ابن حجر فى الجوهر

المنظم رواية ذلك عن مالك جاءت بالسند الصحيح الذى لا مطعن فيه و قال العلامة فى شرح المواهب و رواها ابن فهد باسناد جيد و رواها القاضى عياض فى الشفاء باسناد صحيح رجاله ثقات ليس فى اسنادها وضاع و لا كذاب و مراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الامام مالك و نسب له كراهية استقبال القبر فنسبة الكراهية الى الامام مالك مردودة و قال بعض المفسرين فى قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات ان من جملة تلك الكلمات توسل آدم بالنبى صى الله عليه و سلم حين قال أسألك يا رب بحرمة محمد الا ما غفرت لى * و استسقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه و سلم لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا و ذلك مذكور فى صحيح البخارى من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه و ذلك من التوسل * و فى المواهب اللدنية للعلامة القسطلانى أن عمر رضى الله عنه لما استسقى بالعباس رضى الله عنه قال يا أيّها الناس ان رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به فى عمه العباس و اتخذوه وسيلة الى الله تعالى ففيه التصريح بالتوسل و بهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقا سواء كان التوسل بالاحياء أو بالاموات و قول من منع ذلك بغير النبى صلى الله عليه و سلم و نص اللفظ الواقع من عمر رضى الله عنه حين استسقى بالعباس رضى الله عنه اللّهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه و سلم فتسقينا و انا نتوسل اليك بعم نبينا صلى الله عليه و سلم فاسقنا و الحديث مذكور فى صحيح البخارى من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه و صدر الحديث عن أنس رضى الله عنه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب و قال اللّهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه و سلم فتسقينا و انا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون اهـ و فعل عمر رضى الله عنه حجة لقوله صلى الله عليه و سلم ان الله جعل الحق على لسان عمر و قلبه رواه الامام أحمد و الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما و رواه الامام أحمد أيضا و أبو داود و الحاكم فى المستدرك عن ابى ذر رضى الله عنه و رواه أبو يعلى و الحاكم في المستدرك أيضا عن أبى هريرة رضى الله

عنه و روى الطبرانى فى الكبير عن بلال و معاوية رضى الله عنهما و روى الطبرانى فى الكبير و ابن عدى فى الكامل عن الفضل بن العباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال عمر معى و أنا مع عمر و الحق بعدى مع عمر حيث كان و هذا مثل ما صح فى حق على رضى الله عنه حيث قال صلى الله عليه و سلم فى حقه و أدر الحق معه حيث دار و هو حديث صحيح رواه كثير من أصحاب السنن فكل من عمر و على رضى الله عنهما يكون الحق معهما حيث كانا و هذان الحديثان من جملة الادلة التى استدل بها أهل السنة على صحة خلافة الخلفاء الاربعة لان عليا رضى الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة قبله لم ينازعهم فى الخلافة فلما جاءت الخلافة له و نازعه غيره ممن لا يستحق التقدم عليه قاتله ❋ و من الادلة على أن توسل عمر بالعباس رضى الله عنهما حجة على جواز التوسل قوله صلى الله عليه و سلم لو كان نبى بعدى لكان عمر رواه الامام أحمد و الترمذى و الحاكم فى المستدرك عن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه و رواه الطبرانى فى الكبير عن عصمة بن مالك رضى الله عنه و روى الطبرانى فى الكبير عن ابى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر و عمر فانهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها و انما استسقى عمر رضى الله عنه بالعباس و لم يستسق بالنبى صلى الله عليه و سلم ليبين للناس جواز الاستسقاء بغير النبى صلى الله عليه و سلم و ان ذلك لا حرج فيه و أما الاستسقاء بالنبى صلى الله عليه و سلم فكان معلوما عندهم فلربما أن بعض الناس يتوهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبى صلى الله عليه و سلم فبين لهم عمر باستسقائه بالعباس الجواز و لو استسقى بالنبى صلى الله عليه و سلم لربما يفهم منه بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره و ليس لقائل أن يقول انما استسقى بالعباس لانه حىّ و النبى صلى الله عليه و سلم قد مات و ان الاستسقاء بغير الحى لا يجوز لانا نقول ان هذا الوهم باطل و مردود بادلة كثيرة منها توسل الصحابة رضى الله عنهم بالنبى صلى الله عليه و سلم بعد وفاته كما تقدم فى القصة التى رواها عثمان بن حنيف فى الحاجة التى كانت للرجل عند

عثمان بن عفان رضى الله عنه و كما فى حديث بلال ابن الحارث رضى الله عنه و كما فى توسل آدم بالنبى صلى الله عليه و سلم قبل وجوده و حديث توسل آدم رواه عمر رضى الله عنه كما تقدم فكيف يتوهم أنه لا يعتقد صحته بعد وفاته و قد روى التوسل به قبل وجوده مع أنه صلى الله عليه و سلم حىّ فى قبره فيتلخص من هذا أنه يصح التوسل به صلى الله عليه و سلم قبل وجوده و فى حياته و بعد وفاته و أنه يصح أيضا التوسل بغيره من الاخيار كما فعله عمر حين استسقى بالعباس رضى الله عنهما و ذلك من أنواع التوسل كما تقدم و انما خص عمر العباس رضى الله عنهما من بين سائر الصحابة رضى الله عنهم لاظهار شرف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و لبيان أنه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فان عليا رضى الله عنه كان موجودا و هو أفضل من العباس رضى الله عنه قال بعض العارفين و فى توسل عمر بالعباس رضى الله عنهما دون النبى صلى الله عليه و سلم نكتة أخرى أيضا زيادة على ما تقدم و هى شفقة عمر رضى الله عنه على ضعفاء المؤمنين فانه لو استسقى بالنبى صلى الله عليه و سلم لربما استأخرت الاجابة لانها معلقة بارادة الله تعالى و مشيئته فلو تأخرت الاجابة ربما تقع وسوسة و اضطراب لمن كان ضعيف الايمان بسبب تأخر الاجابة بخلاف ما اذا كان التوسل بغير النبى صلى الله عليه و سلم فانها لو تأخرت الاجابة لا تحصل تلك الوسوسة و لا ذلك الاضطراب ❁ و الحاصل أن مذهب أهل السنة و الجماعة صحة التوسل و جوازه بالنبى صلى الله عليه و سلم فى حياته و بعد وفاته و كذا بغيره من الانبياء و المرسلين صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين و كذا بالاولياء و الصالحين كما دلت عليه الاحاديث السابقة لانا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيرا و لا خلقا و لا ايجادا و لا اعداما و لا نفعا و لا ضرا الا لله وحده لا شريك له و لا نعتقد تأثيرا و لا نفعا و لا ضرا للنبى صلى الله عليه و سلم و لا لغيره من الاحياء أو الاموات فلا فرق بالتوسل بالنبى صلى الله عليه و سلم و غيره من الانبياء و المرسلين صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين و كذا بالاولياء و الصالحين لا فرق بين كونهم أحياء أو أمواتا لانهم لا يخلقون شيئا و ليس لهم تأثير فى

شئ و انما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى و أما الخلق و الايجاد و النفع و الضر فانه لله وحده لا شريك له و أما الذين يفرقون بين الاحياء و الاموات فانهم بذلك الفرق يتوهم منهم انهم يعتقدون التأثير للاحياء دون الاموات و نحن نقول الله خالق كل شئ و الله خلقكم و ما تعملون فهؤلاء المجوزون التوسل بالاحياء دون الاموات هم المعتقدون تأثير غير الله و هم الذين دخل الشرك فى توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات فكيف يدعون أنهم محافظون على التوحيد و ينسبون غيرهم الى الاشراك سبحانك هذا بهتان عظيم فالتوسل والتشفع و الاستغاثة كلها بمعنى واحد و ليس لها فى قلوب المؤمنين معنى الا التبرك بذكر أحباء الله تعالى لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا فالمؤثر و الموجد حقيقة هو الله تعالى و ذكر هؤلاء الاحياء سبب عادىّ فى ذلك التأثير و ذلك مثل الكسب العادى فانه لا تأثير له و حياة الانبياء عليهم الصلاة و السلام فى قبورهم ثابتة عند أهل السنة بادلة كثيرة منها حديث مررت على موسى ليلة اسرى بى يصلى فى قبره و مثل مررت بابراهيم فأمرنى بتبليغ أمتى السلام و أن أخبرهم أن الجنة طيبة التربة و انها قيعان و ان غراسها سبحان الله و الحمد لله و لا اله الاّ الله و الله أكبر و مثل حديث اجتماعهم لما صلى بهم فى بيت المقدس ليلة أسرى به ثم تلقوه فى السموات و حديث تردد النبى صلى الله عليه و سلم بين موسى و مقام مكالمته ربه لما فرض عليه خمسين صلاة فأمره موسى بالمراجعة و حديث ان الانبياء يحجون و يلبون و كل هذه الاحاديث صحيحة لا مطعن فيها لطاعن فلا حاجة الى الاطالة بذكرها و أيضا فقد ثبت بنص القرآن حياة الشهداء و الانبياء أفضل من الشهداء فالحياة لهم ثابتة بالاولى ثم ان الحياة الثابتة للانبياء عليهم الصلاة و السلام و للشهداء ليست مثل الحياة الدنيوية بل هى حياة تشبه حال الملائكة و لا يعلم صفتها و حقيقتها الا الله تعالى فيجب علينا الايمان بثبوتها من غير بحث عن صفتها و اذا كان الامر كذلك فلا ينافى أن كلا منهم قد مات و انتقل من الحياة الدنيوية بمعنى أنه زالت عنه الحياة التى كانت فى دار الدنيا و ثبتت لهم حياة أخرى فلا اشكال فى قوله تعالى انّك ميت و انهم ميتون و الكلام على ذلك مبسوط

فى المطولات فلا حاجة لنا الى الاطالة فان قال قائل ان شبهة هؤلاء المانعين للتوسل أنهم رأوا بعض العامة يأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى و يطلبون من الصالحين أحياء و أمواتا أشياء جرت العادة بأنها لا تطلب الا من الله تعالى و يقولون للولى افعل لى كذا و كذا و أنهم ربما يعتقدون الولاية فى أشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط و عدم الاستقامة و ينسبون لهم كرامات و خوراق عادات و أحوالا و مقامات و ليسوا بأهل لها و لم يوجد منهم شئ منها فاراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة عن تلك التوسعات دفعا للايهام و سدا للذريعة و ان كانوا يعلمون ان العامة لا يعتقدون تأثيرا و لا نفعا و لا ضرا لغير الله تعالى و لا يقصدون بالتوسل الا التبرك و لو أسندوا للاولياء شيئا لا يعتقدون فيهم تأثيرا فنقول لهم اذا كان الامر كذلك و قصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الامة عالمهم و جاهلهم خاصهم و عامهم و ما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا بل كان ينبغى لكم أن تمنعوا العامة من الالفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى و تأمروهم بسلوك الادب فى التوسل مع ان تلك الالفاظ الموهمة يمكن حملها على المجاز من غير احتياج الى التكفير للمسلمين و ذلك المجاز مجاز عقلى شائع معروف عند أهل العلم و مستعمل على ألسنة جميع المسلمين و وارد فى الكتاب و السنة و عليه يحمل قول القائل هذا الطعام أشبعنى و هذا الماء أروانى و هذا الدواء أشفانى و هذا الطبيب نفعنى فكل ذلك عند أهل السنة محمول على المجاز العقلى فان الطعام لا يشبع حقيقة و المشبع حقيقة هو الله تعالى و الطعام سبب عادى فاسناد الشبع له مجاز عقلى و الطعام سبب عادى لا تأثير له و هكذا بقية الامثلة فالمسلم الموحد متى صدر منه اسناد لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلى و الاسلام و التوحيد قرينة على ذلك المجاز كما نص على ذلك علماء المعانى فى كتبهم و أجمعوا عليه و أما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته فى الاحاديث الصحيحة و صدوره من النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه و سلف الامّة و خلفها فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه منهم من يجعله محرما و منهم من يجعله كفرا و اشراكا و كل ذلك باطل لانه يؤدى الى اجتماع معظم الامة على ضلالة و من تتبع

كلام الصحابة و علماء الامة سلفها و خلفها يجد التوسل صادرا منهم بل و من كل مؤمن في أوقات كثيرة و اجتماع أكثر الامة على محرم أو كفر لا يجوز لقوله صلى الله عليه و سلم في الحديث الصحيح لا تجتمع أمتي على ضلالة قال بعضهم ان هذا حديث متواتر و قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس فاللائق بهؤلاء المنكرين اذا أرادوا سد الذريعة و منع الناس من الالفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى أن يقولوا ينبغي أن يكون التوسل بالادب و بالالفاظ التي ليس فيها ايهام كان يقول المتوسل اللّهم اني أسئلك و أتوسل اليك بنبيك صلى الله عليه و سلم و بالانبياء قبله و بعبادك الصاحلين أن تفعل بي كذا و كذا لانهم يمنعون من التوسل و لا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير الاّ الله وحده لا شريك له و من الشبه التي تمسك بها هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فان الله نهى المؤمنين في هذه الآية أن يخاطبوا النبي صلى الله عليه و سلم بمثل ما يخاطب بعضهم بعضا كان ينادوه باسمه و قياسا على ذلك يقال لا ينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالانبياء و الصالحين الاشياء التي جرت العادة بأنها لا تطلب الا من الله تعالى لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى و خلقه بحسب الظاهر و ان كان الطلب من الله على أنه الموجد للشئ و المؤثر فيه و في غيره على أنه سبب عادي لكنه ربما يوهم التأثير فالمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الايهام * و الجواب أن هذا لا يقتضي المنع من التوسل مطلقا و لا يقتضي منع الطلب من موحد فانه يحمل على المجاز العقلي اذا صدر من موحد فلا وجه لكونه شركا و لا لكونه محرما فلو قالوا ان ذلك خلاف الادب و أجازوا التوسل و شرطوا فيه أن يكون بالادب و الاحتراز عن الالفاظ الموهمة لكان له وجه و أما المنع مطلقا فلا وجه له قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم و لا فرق في التوسل بين أن يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه لان التوجه في الجاه و هو علو المنزلة و قد يتوسل بذي الجاه الى من هو أعلى منه جاها و الاستغاثة معناها طلب الغوث و المستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره و ان كان أعلى منه فالتوجه و الاستغاثة به صلى الله عليه و

سلم و بغيره ليس لهما معنى فى قلوب المسلمين الا طلب الغوث حقيقة من الله تعالى و مجازا بالتسبب العادى من غيره و لا يقصد أحد من المسلمين غير ذلك المعنى فمن لم ينشرح لذلك صدره فليبك على نفسه نسأل الله تعالى العافية فالمستغاث به فى الحقيقة هو الله تعالى و أما النبى صلى الله عليه و سلم فهو واسطة بينه و بين المستغيث فهو سبحانه و تعالى مستغاث به حقيقة و الغوث منه بالخلق و الايجاد و النبى صلى الله عليه و سلم مستغاث به مجازا و الغوث منه بالكسب و التسبب العادى باعتبار توجهه و تشفعه عند الله لعلو منزلته و قدره فهو على حد قوله تعالى و ما رميت اذ رميت و لكن الله رمى أى و ما رميت خلقا و ايجادا اذ رميت تسببا و كسبا و لكن الله رمى خلقا و ايجادا و كذا قوله تعالى فلم تقتلوهم و لكن الله قتلهم و قوله صلى الله عليه و سلم ما أنا حملتكم و لكن الله حملكم و كثيرا ما تجئ السنة لبيان الحقيقة و يجئ القرآن الكريم باضافة الفعل لمكتسبه و يسند اليه مجازا كقوله تعالى أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون و قوله صلى الله عليه و سلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله فالآية بيان للسبب العادى و الحديث لبيان سبب فعل الفاعل الحقيقى و هو فضل الله تعالى و بالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب أمر معلوم لا شك فيه لا لغة و لا شرعا فاذا قلت أغثنى يا الله تريد الاسناد الحقيقى باعتبار الخلق و الايجاد و اذا قلت أغثنى يا رسول الله تريد الاسناد المجازى باعتبار السبب و الكسب و التوسط بالشفاعة و لو تتبعت كلام الائمة و سلف الامة و خلفها لوجدت شيئا كثيرا من ذلك بل فى الاحاديث الصحيحة كثير من ذلك و منه ما فى صحيح البخارى فى مبحث الحشر و وقوف الناس للحساب يوم القيامة بينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه و سلم فتأمل تعبيره صلى الله عليه و سلم بقوله استغاثوا بآدم فان الاستغاثة به مجازية و المستغاث به حقيقة هو الله تعالى و صح عنه صلى الله عليه و سلم لمن أراد عونا أن يقول يا عباد الله أعينونى و فى رواية أغيثونى و جاء فى حديث قصة قارون لما خسف به أنه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه بل صار يقول يا أرض خذيه فعاتب الله موسى حيث لم يغثه و قال له استغاث بك فلم تغثه و لو

استغاث بى لأغثته فاسناد الاغاثة الى الله تعالى اسناد حقيقى و اسنادها الى موسى مجازى و قد يكون معنى التوسل به صلى الله عليه و سلم طلب الدعاء منه اذ هو صلى الله عليه و سلم حى فى قبره يعلم سؤال من يسئله و قد تقدم حديث بلال بن الحارث رضى الله عنه المذكور فيه أنه جاء الى قبره صلى الله عليه و سلم و قال يا رسول الله استسق لامتك أى ادع الله لهم فعلم منه أنه صلى الله عليه و سلم يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه فى حياته لعلمه بسؤال من يسئله مع قدرته على السبب فى حصول ما سئل فيه بسؤاله و دعائه و شفاعته الى ربه عزّ و جلّ و أنه صلى الله عليه و سلم يتوسل به فى كل خير قبل بروزه لهذا العالم و بعده فى حياته و بعد وفاته و كذا فى عرصات القيامة فيشفع الى ربه و كل هذا مما تواترت به الاخبار و قام به الاجماع قبل ظهور المانعين منه فهو صلى الله عليه و سلم له الجاه الوسيع و القدر المنيع عند سيده و مولاه المنعم عليه بما حباه و أولاه و أما تخيل المانعين المحرومين من بركاته أن منع التوسل و الزيارة من المحافظة على التوحيد و ان التوسل و الزيارة مما يؤدى الى الشرك فهو تخيل باطل فاسد فالتوسل و الزيارة اذا فعل كل منهما مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدى الى محذور ألبتة و القائل بمنع ذلك سدا للذريعة متقوّل على الله تعالى و على رسوله صلى الله عليه و سلم و كان هؤلاء المانعون للتوسل و الزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبى صلى الله عليه و سلم فحيثما صدر من أحد تعظيم له صلى الله عليه و سلم حكموا على فاعله بالكفر و الاشراك و ليس الامر كما يقولون فان الله تعالى عظم النبى صلى الله عليه و سلم فى القرآن الكريم باعلى أنواع التعظيم فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى و أمر بتعظيمه نعم فيجب علينا أن لا نصفه بشئ من صفات الربوبية و رحم الله الابوصيرى حيث قال

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم ❋ و احكم بما شئت مدحا فيه و احتكم

فليس فى تعظيمه بغير صفات الربوبية شئ من الكفر و الاشراك بل ذلك من أعظم الطاعات و القربات و هكذا كل من عظمهم الله تعالى كالانبياء و المرسلين صلوات الله و

سلامه عليه و عليهم و كالملائكة و الصديقين و الشهداء و الصالحين قال تعالى و من يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب و قال تعالى و من يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه و من ذلك الكعبة المعظمة و الحجر الاسود و مقام ابراهيم عليه السلام فانها أحجار و أمرنا الله بتعظيمها بالطواف بالبيت و مس الركن اليمانى و تقبيل الحجر الاسود و بالصلاة خلف المقام و بالوقوف للدعاء عند المستجار و باب الكعبة و الملتزم و الميزاب كما جرى على ذلك السلف و الخلف و كلهم فى ذلك لا يعبدون الاّ الله و لا يعتقدون تأثيرا لغيره و لا نفعا و لا ضرا لان ذلك لا يكون الاّ لله وحده و لا يكون لاحد سواه

﴿و الحاصل﴾ كما تقدم أن هنا أمرين أحدهما وجوب تعظيم النبى صلى الله عليه و سلم و رفع رتبته عن سائر المخلوقات و الثانى افراد الربوبية و اعتقاد أن الرب تبارك و تعالى منفرد بذاته و صفاته و أفعاله عن جميع خلقه فمن اعتقد فى مخلوق مشاركة البارى سبحانه و تعالى فى شئ من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الالوهية للاصنام و استحقاقاتها للعبادة و من قصر بالرسول صلى الله عليه و سلم فى شئ عن مرتبته فقد عصى أو كفر و أما من بالغ فى تعظيمه بانواع التعظيم و لم يصفه بشئ من صفات الربوبية فقد أصاب الحق و حافظ على جانب الربوبية و الرسالة جميعا و ذلك هو القول الذى لا افراط فيه و لا تفريط و اذا وجد فى كلام المؤمنين اسناد شئ لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلى و لا سبيل الى تكفير أحد من المؤمنين اذ المجاز العقلى مستعمل فى الكتاب و السنة فمن ذلك قوله تعالى و اذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاسناد الزيادة الى الآيات مجاز عقلى و هو سبب عادى للزيادة و الذى يزيد فى الايمان حقيقة هو الله تعالى وحده لا شريك له و قوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا فاسناد الجعل الى اليوم مجاز عقلى لان اليوم محل لجعلهم شيبا فالجعل المذكور واقع فى اليوم و الجاعل حقيقة هو الله تعالى وحده و قوله تعالى و لا يغوث و يعوق و نسرا و قد أضلوا كثيرا فاسناد الاضلال الى الاصنام مجاز عقلى لانها سبب فى حصول الاضلال و الهادى و المضل حقيقة هو الله تعالى وحده لا شريك له و قوله تعالى حكاية عن فرعون يا هامان ابن لى

صرحا فاسناد البناء الى هامان مجاز عقلى لانه سبب آمر فهو يأمرك بذلك و لا يبنى بنفسه و الذى يبين انما هم الفعلة و أما الاحاديث النبوية ففيها من المجاز العقلى شئ كثير يعرف ذلك من وقف عليه من ذلك الحديث المتقدم بينماهم كذلك استغاثوا بآدم فاغاثة آدم عليه السلام مجازية و المغيث حقيقة هو الله تعالى و أما كلام العرب ففيه من المجاز العقلى ما لا يحصى كقولهم أنبت الربيع البقل فجعلوا الربيع و هو المطر منبتا و المنبت حقيقة هو الله تعالى فاسناد الانبات الى الربيع مجاز عقلى فاذا قال العامى من المسلمين نفعنى النبى صلى الله عليه و سلم أو أغاثنى أو نحو ذلك فانما يريد الاسناد المجازى و القرينة على ذلك انه مسلم موحد لا يعتقد التأثير الا لله فجعلهم ذلك و أمثاله من الشرك جهل محض و تلبيس على عوام المسلمين الموحدين و قد اتفق العلماء على انه اذا صدر مثل هذا الاسناد من موحد فانه يحمل على المجاز و التوحيد يكفى قرينة لذلك لان الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أهل السنة و الجماعة و اعتقادهم أن الخالق للعباد و أفعالهم هو الله تعالى لا تأثير لاحد سواه لا لحى و لا لميت فهذا الاعتقاد هو التوحيد المحض بخلاف من اعتقد غير هذا فانه يقع فى الاشراك و أما الفرق بين الحى و الميت كما يفهم من كلام هؤلاء المانعين للتوسل فان كلا منهم يفيد أنهم يعتقدون أن الحى يقدر على بعض الاشياء دون الميت فكانهم يعتقدون أن العبد يخلق أفعال نفسه فهو مذهب باطل و الدليل على أن هذا هو اعتقادهم أنهم يقولون اذا نادى الحى و طلب منه ما يقدر عليه فلا ضرر فى ذلك و أما الميت فانه لا يقدر على شئ أصلا و أما أهل السنة فانهم يقولون الحى لا يقدر على شئ كما أن الميت كذلك لا يقدر و القادر حقيقة هو الله تعالى و العبد ليس له الا الكسب الظاهرى باعتبار الحى و الكسب الباطنى باعتبار التبرك بذكر اسم النبى صلى الله عليه و سلم و غيره من الاخيار و تشفعهم فى ذلك و الخالق للعباد و أفعالهم هو الله وحده لا شريك له و قد تقدم كثير من الدلائل الدالة على صحة التوسل و لا بأس بالحاق أدلة تدل على ذلك زيادة على ما تقدم ذكر العلامة السيد السمهودى فى خلاصة الوفاء ان من الادلة الدالة على صحة التوسل بالنبى صلى الله عليه و سلم بعد وفاته ما رواه الدارمى فى

صحيحه عن ابى الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة رضى الله عنها فقالت انظروا الى قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب و سمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق قال العلامة المراغى و فتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة يفتحون كوة فى أسفل قبة الحجرة المطهرة و ان كان السقف حائلا بين القبر الشريف و السماء قال السيد السمهودى بعدكلام المراغى و سنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف و يجتمعون هناك و ليس القصد الا التوسل بالنبى صلى الله عليه و سلم و الاستشفاع به الى ربه لرفعة قدره عند الله و قال أيضا فى خلاصة الوفاء ان التوسل و التشفع به صلى الله عليه و سلم و بجاهه و بركته من سنن المرسلين و سيرة السلف الصالحين و ذكر كثير من علماء المذاهب الاربعة فى كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبى صلى الله عليه و سلم أنه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف و يتوسل به الى الله تعالى فى غفران ذنوبه و قضاء حاجاته و يستشفع به صلى الله عليه و سلم قالوا و من أحسن ما يقول ما جاء عن العتبى و هو مروى أيضا عن سفيان بن عيينة و كل منهما من مشايخ الامام الشافعى قال العتبى كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم فجاء أعرابى فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول و فى رواية يا خير الرسل ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه و لو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما و قد جئتك مستغفرا من ذنبى متشفعا بك الى ربى و فى رواية و انى جئتك مستغفرا ربك عزّ و جلّ من ذنوبى ثم بكى و أنشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ❋ فطاب من طيبهن القاع و الاكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنـه ❋ فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

قال العتبى ثم استغفر الاعرابى و انصرف فغلبتنى عيناى فرأيت النبى صلى الله عليه و سلم فى النوم فقال يا عتبى الحق الاعرابى فبشره أن الله غفر له فخرجت خلفه فلم أجده و ليس محل الاستدلال الرؤيا فانها لا تثبت بها الاحكام لاحتمال حصول الاشتباه

على الرائى كما تقدم ذلك و انما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا الاتيان بما تقدم ذكره و ذكروا فى مناسكهم استحباب الإتيان به للزائر و ليس فى قولهم و فى رواية كذا و فى رواية كذا منافات لاحتمال أن الراوى حكى ذلك بالمعنى فمرة عبر بقوله يا خير الرسل و مرة عبر بقوله يا رسول الله و على ذلك يحمل أمثال هذا و قال العلامة ابن حجر فى الجوهر المنظم و روى بعض الحفاظ عن أبى سعيد السمعانى أنه روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه و كرم وجهه أنهم بعد دفنه صلى الله عليه و سلم بثلاثة أيام جاءهم أعرابى فرمى بنفسه على القبر الشريف على صاحبه أفضل الصلاة و السلام و حثى ترابه على رأسه و قال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك و وعيت عن الله ما وعينا عنك و كان فيما أنزل الله عليك قوله تعالى و لو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما و قد ظلمت نفسى و جئتك مستغفرا لى الى ربى فنودىَ من القبر الشريف انه قد غفر لك و جاء مثل ذلك عن على رضى الله عنه من طريق أخرى فهى تؤيد رواية السمعانى و يؤيد ذلك أيضا ما صح عنه صلى الله عليه و سلم من قوله حياتى خير لكم تحدثون و احدث لكم و وفاتى خير لكم تعرض علىّ أعمالكم ما رأيت من خير حمدت الله تعالى و ما رأيت من شر استغفرت لكم و يؤيد ذلك أيضا ما ذكره العلماء فى آداب الزيارة من أنه يستحب ان يجدد الزائر التوبة فى ذلك الموقف الشريف و يسئل الله تعالى أن يجعلها توبة نصوحا و يستشفع به صلى الله عليه و سلم الى ربه عزّ و جلّ فى قبولها و يكثر الاستغفار و التضرع بعد تلاوة قوله تعالى و لو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما و يقولون نحن وفدك يا رسول الله و زوارك جئناك لقضاء حقك و التبرك بزيارتك و الاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا و أظلم قلوبنا فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله و لا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا و اشفع لنا عند ربك و اسأله ان يمن علينا بسائر طلباتنا و يحشرنا فى زمرة عباده الصالحين و العلماء العاملين ❁ و فى الجوهر المنظم أيضا أن أعرابيا وقف على القبر الشريف و قال اللّهم ان هذا حبيبك و أنا عبدك و الشيطان عدوك فان غفرت لى سر حبيبك و فاز عبدك و

غضب عدوك و ان لم تغفر لى غضب حبيبك و رضى عدوك و هلك عبدك و أنت يا رب أكرم من ان تغضب حبيبك و ترضى عدوك و تهلك عبدك اللّهم ان العرب اذا مات فيهم سيد عتقوا على قبره و ان هذا سيد العالمين فاعتقنى على قبره يا أرحم الراحمين فقال له بعض الحاضرين يا أخا العرب ان الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال ❁ و ذكر علماء المناسك أيضا ان استقبال قبره الشريف صلى الله عليه و سلم وقت الزيارة و الدعاء أفضل من استقبال القبلة قال العلامة المحقق الكمال ابن الهمام ان استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة و أما ما نقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ان استقبال القبلة أفضل فهذا النقل غير صحيح فقد روى الامام أبوحنيفة نفسه فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال من السنة استقبال القبر المكرم و جعل الظهر للقبلة و سبق ابن الهمام فى النص على ذلك العلامة ابن جماعة فانه نقل استحباب استقبال القبر عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه و رد على الكرمانى فى انه يستقبل القبلة فقال انه ليس بشئ ثم قال فى الجوهر المنظم و يستدل لاستقبال القبر أيضا بانا متفقون على أنه صلى الله عليه و سلم فى قبره يعلم بزائره و هو صلى الله عليه و سلم لما كان فى الدنيا لم يسع زائره الا استقباله و استدبار القبلة فكذا يكون الامر حين زيارته فى قبره الشريف صلى الله عليه و سلم و اذا اتفقنا فى المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة ان الطلبة يستقبلونه و يستدبرون الكعبة فما بالك به صلى الله عليه و سلم فهذا أولى بذلك قطعا و قد تقدم قول الامام للخليفة المنصور و لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم الى الله بل استقبله و استشفع به قال العلامة الزرقانى فى شرح المواهب كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبرا القبلة ثم نقل عن مذهب الامام أبى حنيفة و الشافعى و الجمهور مثل ذلك و أما مذهب الامام أحمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه و الراجح عند المحققين منهم استحباب استقبال القبر الشريف كبقية المذاهب و كذا القول فى التوسل فان المرجح عند المحققين منهم استحبابه لصحة الاحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عند الحنابلة موافقا لما عليه أهل المذاهب الثلاثة و قد أطال الامام السبكى

فى شفاء السقام فى نقل نصوص أهل المذاهب الاربعة فى ذلك و ذكر الشيخ طاهر سنبل فى رسالة له فى ذلك ان ممن ذكر ذلك من علماء الحنابلة الامام ابو عبد الله السامرى فى المستوعب و رفعت فتوى لمفتى الحنابلة بمكة الشيخ محمد ابن عبد الله بن حميد فى هذه المسألة فأجاب بان الراجح عند الحنابلة استقبال القبر الشريف عند الدعاء و استحباب التوسل قال مذكور فى كثير من كتب المذهب المعتمدة منها شرح مناسك المقنع للامام شمس الدين ابن مفلح صاحب الفروع و منها شرح الاقناع لمحرر المذهب الشيخ منصور البهوتى و منها شرح غاية المنتهى و منها منسك الشيخ سليمان بن على جد الشيخ عبد الوهاب صاحب الدعوة و كثير من المؤلفين فى المذهب ذكروا ذلك قال و بعض هؤلاء ذكروا أيضا قصة العتبى المشهورة و انشاد الاعرابى

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع و الاكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

و أما الحديث الذى فيه اللّهم انى أسألك و أتوجه اليك الخ فهو حديث أخرجه الترمذى و صححه و أخرجه النسائى و البيهقى أيضا و صححه ثم قال المفتى المذكور اذا تحقق ذلك علمنا أن المعتمد عند الحنابلة هو ما ذكره السائل أعنى استحباب استقبال القبر عند الدعاء و استحباب التوسل والمنكر لذلك جاهل بمذهب الامام أحمد اهـ و أما ما ذكره الآلوسى فى تفسيره من أن بعضهم نقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه أنه منع التوسل فهو نقل غير صحيح اذ لم ينقله عن الامام أحد من أهل مذهبه و هم أدرى به بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر فاياك ان تغتر به و فى المواهب اللدنية للامام القسطلانى وقف اعرابى على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقال اللّهم انّك أمرت بعتق العبيد و هذا حبيبك و أنا عبدك فاعتقنى من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسأل العتق لك وحدك هلاّ سألت العتق لجميع المؤمنين اذهب فقد أعتقتك ثم أنشد القسطلانى أحد البيتين المشهورين و أنشد شارحه الزرقانى البيت الآخر و هما

ان الملوك اذا شابت عبيدهم * فى رقهم اعتقوهم عتق أحرار

و أنت يا سيدى أولى بذا كرما ❁ قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

ثم قال فى المواهب و عن الحسن البصرى قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه و سلم فقال يا رب انا زرنا قبر نبيك صلى الله عليه و سلم فلا تردنا خائبين فنودى يا هذا ما أذنا لك فى زيارة قبر حبيبنا الا و قد قبلناك فارجع أنت و من معك من الزوار مغفورا لكم و قال ابن أبى فديك سمعت بعض من أدركت من العلماء و الصلحاء تقول بلغنا أن من وقف عند قبر النبى صلى الله عليه و سلم فقرأ هذه الآية ان الله و ملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما و قال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان و لم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغى و غيره الاولى أن يقول صلى الله عليك يا رسول الله بدل قوله يا محمد للنهى عن ندائه باسمه حيا و ميتا و ابن أبى فديك من اتباع التابعين و كان من الائمة الثقات المشهورين و هو من المروى عنه فى الصحيحين و غيرهما من كتب السنن قال الزرقانى فى شرح المواهب اسمه محمد بن اسماعيل بن مسلم الديلمى مات سنة مائتين و هذا الذى نقله فى المواهب عن ابن أبى فديك رواه عنه أيضا البيهقى و فى شرح المواهب للزرقانى ان الداعى اذا قال اللّهم انى أستشفع اليك بنبيك يا نبى الرحمة اشفع لى عند ربك استجيب له فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه و سلف الامة و خلفها ان التوسل به صلى الله عليه و سلم و زيارته و طلب الشفاعة منه ثابتة عنهم قطعا بلا شك و لا مرية و انها من أعظم القربات و ان التوسل به واقع قبل خلقه و بعد خلقه فى حياته و بعد وفاته و سيكون التوسل به أيضا بعد البعث فى عرصات القيامة قال فى المواهب و رحم بن جابر حيث قال

به قد أجاب الله آدم اذ دعا ❁ و نجى فى بطن السفينة نوح

و ما ضرت النار الخليل لنوره ❁ و من أجله نال الفداء ذبيح

ثم قال و فى كتابه مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الانام للشيخ ابن عبد الله بن النعمان ما يشفى الغليل من ذلك ثم ذكر فى المواهب كثيرا من البركات التى حصلت له

ببركة توسله بالنبى صل الله عليه و سلم و روى البيهقى عن أنس رضى الله عنه أن اعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه و سلم يستسقى به و أنشد أبياتا أولها

أتيناك و العذراء يدمى لبانها ❁ و قد شغلت أم الصبى عن الطفل

الى ان قال

و ليس لنا الاّ اليك فرارنا ❁ و أين فرار الخلق الاّ الى الرسل

فلم ينكر عليه صلى الله عليه و سلم هذا البيت بل قال أنس لما أنشد الاعرابى الابيات قام ﷺ يجر رداءه حتى رقى المنبر فخطب و دعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء و فى صحيح البخارى انه لما جاء الاعرابى و شكا للنبى صلى الله عليه و سلم القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر قال صلى الله عليه و سلم لو كان أبوطالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال على رضى الله عنه يا رسول الله كانك أردت قوله

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ❁ ثمال اليتامى عصمة للارامل

فتهلل وجه النبى صلى الله عليه و سلم و لم ينكر انشاد البيت و لا قوله يستسقى الغمام بوجهه و لو كان ذلك حراما أو شركا لانكره و لم يطلب انشاده و كان سبب انشاد أبى طالب هذا البيت من جملة قصيدة مدح بها النبى صلى الله عليه و سلم ان قريشا فى الجاهلية أصابهم قحط شديد فاستسقى أبوطالب و توسل بالنبى صلى الله عليه و سلم و كان صغيرا فاغدودق عليهم السحاب بالمطر فانشأ أبوطالب تلك القصيدة و صح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد و مر من أدركه من أمتك ان يؤمنوا به و لولا محمد ما خلقت الجنة و النار و لقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتب عليه لا اله الاّ الله محمد رسول الله فسكن قال فى الجوهر المنظم فاذا كان له صلى الله عليه و سلم هذا الفضل و الخصوصية أفلا يتوسل به و ذكر القسطلانى فى شرحه على البخارى عن كعب الاحبار ان بنى اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا باهل بيت نبيهم فعلم بذلك أن التوسل مشروع حتى فى الامم السابقة و قال السيد السمهودى فى خلاصة الوفاء ان العادة جرت ان من توسل عند شخص بمن له

قدر عنده يكرمه لاجله و يقضى حاجته و قد يتوجه بمن له جاه الى من هو أعلى منه و اذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة كما فى صحيح البخارى فى حديث الثلاثة الذين أووا الى غار فاطبق عليهم ذلك الغار فتوسل كل واحد منهم الى الله تعالى بارجى عمل له فانفرجت الصخرة التى سدت الغار عنهم فالتوسل به صلى الله عليه و سلم أحق و أولى لما فيه من النبوّة و الفضائل سواء كان ذلك فى حياته أو بعد وفاته فالمؤمن اذا توسل به انما يريد بنبوّته التى جمعت الكمالات و هؤلاء المانعون للتوسل يقولون يجوز التوسل بالاعمال الصالحة مع كونها اعراضا فالذوات الفاضلة أولى فان عمر رضى الله عنه توسل بالعباس رضى الله عنه و أيضا لو سلمنا ذلك نقول لهم اذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبى صلى الله عليه و سلم باعتبار ما قارنه من النبوّة و الرسالة و الكمالات التى فاقت كل كمال ❁ و عظمت على كل عمل صالح فى الحال و المآل مع ما ثبت من الاحاديث الدالة على ذلك و مثله سائر الانبياء و المرسلين صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين و كذا الاولياء و جميع عباد الله الصالحين لما فيهم من الطهارة القدسية و محبة رب البرية و حيازة أعلى مراتب الطاعة و اليقين من رب العالمين و ذلك بسبب كونهم من عباد الله المقربين فيقضى الله سبحانه و تعالى التوسل بهم حوائج المؤمنين و ينبغى أن يكون ذلك التوسل مع الادب الكامل و اجتناب الالفاظ التى توهم التأثير لغير الله تعالى و من أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضى الله عنه التى رواها الطبرانى فى الكبير و فيها ان سواد بن قارب أنشد رسول الله صلى الله عليه و سلم قصيدته التى فيها التوسل و لم ينكر عليه و منها قوله

و أشهد أن الله لا ربّ غيره ❁ و انّك مأمون على كلّ غائب

و انك أدنى المرسلين وسيلة ❁ الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب

فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل ❁ و ان كان فيما فيه شيب الذوائب

وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة ❁ بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم قوله أدنى المرسلين وسيلة و لا قوله

و كن لى شفيعا و كذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضى الله عنها عمة رسول الله صلى الله عليه و سلم فانها رثته بعد وفاته صلى الله عليه و سلم بابيات فيها قولها

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا ❁ و كنت بنا برا و لم تك جافيا

ففيها النداء بعد وفاته مع قولها و أنت رجاؤنا و سمع تلك المرثية الصحابة رضى الله عنهم فلم ينكر عليها أحد قولها يا رسول الله أنت رجاؤنا قال العلامة ابن حجر فى كتابه المسمى بالخيرات الحسان فى مناقب الامام أبى حنيفة النعمان فى الفصل الخامس و العشرين أن الامام الشافعى أيام هو ببغداد كان يتوسل بالامام أبى حنيفة رضى الله عنه يجئ الى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به فى قضاء حاجاته و قد ثبت أن من الامام أحمد توسل بالامام الشافعى رضى الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله أى ابن الامام أحمد فقال له الامام أحمد ان الشافعى كالشمس للناس و كالعافية للبدن و لما بلغ الامام الشافعى ان أهل المغرب يتوسلون الى الله تعالى بالامام مالك و لم ينكر عليهم و قال الامام أبوالحسن الشاذلى رضى الله عنه من كانت له الى الله حاجة و أراد قضاءها فليتوسل الى الله تعالى بالامام الغزالى و ذكر العلامة ابن حجر فى كتابه المسمى بالصواعق المحرقة لاخوان الضلال و الزندقة أن الامام الشافعى رضى الله عنه توسل بأهل البيت النبوى حيث قال

آل النّبى ذريعتى ❁ و هم اليه وسيلتى

أرجو بهم أعطى غدا ❁ بيدى اليمين صحيفتى

و ذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوى فى كتابه المسمى مجمع الاحباب فى ترجمة الامام ابى عيسى الترمذى صاحب السنن أنه رأى فى المنام رب العزة فسأله عما يحفظ عليه الايمان حتى يتوفاه عليه قال فقال لى قل بعد صلاة ركعتى الفجر قبل صلاة فرض الصبح الهى بحرمة الحسن و أخيه و جده و بنيه و أمه و أبيه نجنى من الغم الذى أنا فيه يا حىّ يا قيوم يا ذا الجلال و الاكرام أسألك أن تحيى قلبى بنور معرفتك يا الله يا الله يا أرحم الرّاحمين فكان الامام الترمذى يقول ذلك دائما بعد صلاة سنة

الصبح و يأمر أصحابه به و يحثهم على فعله و على المواظبة عليه فلو كان التوسل ممنوعا لما فعله هذا الامام و لا أمر بفعله و المواظبةعليه و هو امام حجة يقتدى به بل هذا الامر أعنى التوسل لم ينكره أحد قط من السلف و الخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون و فى الاذكار للامام النووى أن النبى صلى الله عليه و سلم أمر ان يقول العبد بعد ركعتى الفجر اللّهم ربّ جبريل و ميكائيل و اسرافيل و محمد صلى الله عليه و سلم أجرنى من النار قال العلامة ابن علان فى شرح الاذكار خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم فى قبول الدعاء و الا فهو سبحانه و تعالى رب جميع المخلوقات فأفهم ذلك أنه من التوسل المشروع ❁ و فى شرح حزب البحر للامام زروق قال بعد ذكر كثير من الاخيار اللّهم انا نتوسل اليك بهم فانهم أحبوك و ما أحبوك حتى أحببتهم فبحبك اياهم وصلوا الى حبك و نحن لم نصل الى حبهم فيك فتمم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين ❁ و لبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله اللّهم رب الكعبة و بانيها و فاطمة و أبيها و بعلها و بنيها نور بصرى و بصيرتى و سرى و سريرتى ❁ قال بعض العارفين و قد جرب هذا الدعاء لتنوير البصر و ان من ذكره عند الاكتحال نور الله بصره و ذلك من الاسباب العادية و هى لا تأثير لها و المؤثر هو الله تعالى وحده لا شريك له فكما ان الله تعالى جعل الطعام و الشراب سببين للشبع و الرى لا تأثير لهما و المؤثر هو الله وحده لا شريك له و جعل الطاعة سببا للسعادة و نيل الدرجات جعل أيضا التوسل بالاخيار الذين عظمهم الله تعال و أمر بتعظيمهم سببا لقضاء الحاجات فليس فى ذلك كفر و لا اشراك و من تتبع أذكار السلف و الخلف و ادعيتهم و أورادهم وجد فيها شيئا كبيرا من التوسل و لم ينكر عليهم أحد فى ذلك حتى جاء هؤلاء المنكرون و لو تتبعنا ما وقع من أكابر الامّة فى التوسل لامتلأت بذلك الصحف و فيما ذكر كفاية و مقنع لمن كان بمرأى من التوفيق و مسمع و انما أطلت الكلام فى ذلك ليتضح الامر لمن كان متشككا فيه غاية الاتضاح لان كثيرا من المنكرين للتوسل يلقون الى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها الى معتقدهم الباطل فعسى أن يقف على هذه النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم فلا يلتفت اليها و يقيم عليهم

الحجة فى ابطالها فعليك باتباع الجمهور و السواد الاعظم و الا كنت مشاقق الله و رسوله و متبعا غير سبيل المؤمنين و قال تعالى و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيرا و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم عليكم بالسواد الاعظم فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية و قال صلى الله عليه و سلم من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ❁ و قد ذكر العلامة ابن الجوزى فى كتابه المسمى تلبيس ابليس أحاديث كثيرة فى التحذير من مفارقة السواد الاعظم منها حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه خطب فى الجابية فقال من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد و هو من الاثنين أبعد و حديث عرفجة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول يد الله على الجماعة و الشيطان مع من يخالف الجماعة و حديث أسامة بن شريك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول يد الله على الجماعة فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم و حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية و النائية فاياكم و الشعاب و عليكم بالجماعة العامة و المسجد و حديث ابى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم انه قال اثنان خير من واحد و ثلاثة خير من اثنين و أربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فان الله تعالى لن يجمع أمتى الا على هدى فهؤلاء المنكرون للتوسل و الزيارة فارقوا الجماعة و السواد الاعظم و عمدوا الى آيات كثيرة من آيات القرآن التى نزلت فى المشركين فحملوها على المؤمنين الذين تقع منهم الزيارة و التوسل و توصلوا بذلك الى تكفير أكثر الامة من العلماء و الصالحين و العباد و الزهاد و عوام الخلق و قالوا انهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى و قد علمت ان المشركين اعتقدوا ألوهية غير الله تعالى و استحقاقه العبادة و أما المؤمنون فلم يعتقد أحد منهم ألوهية غير الله و استحقاقه العبادة فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين سبحانك هذا بهتان عظيم و مما

يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة و التوسل طلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه و سلم و يقولون ان الله تعالى قد قال فى كتابه العزيز من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه و قال تعالى و لا يشفعون الا لمن ارتضى فالطالب للشفاعة لا يعلم حصول الاذن للنبى صلى الله عليه و سلم فى أنه يشفع فكيف يطلب منه الشفاعة و لا يعلم انه ممن ارتضى فكيف يطلب الشفاعة و احتجاجهم هذا مردود و باطل بالاحاديث الصحيحة الصريحة فى حصول الاذن للنبى صلى الله عليه و سلم بالشفاعة للمؤمنين و قد صحت الاحاديث بأنه صلى الله عليه و سلم يشفع لمن قال بعد الاذان اللّهم رب هذه الدعوة التامة الى آخر الدعاء المشهور و لمن صلى على النبى صلى الله عليه و سلم يوم الجمعة و لمن زار قبره صلى الله عليه و سلم و جاءت أحاديث كثيرة فى أعمال من عملها حلت له الشفاعة و لو ذكرناها لطال الكلام و جاءت أحاديث صريحة فى شفاعته لعصاة أمته كقوله صلى الله عليه و سلم شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى و ذكر كثير من المفسرين فى قوله و لا يشفعون الا لمن ارتضى ان كل من مات مؤمنا كان ممن ارتضى فيدخل فى شفاعته صلى الله عليه و سلم فثبت بهذا كله ان الشفاعة ثابتة و مأذون للنبى صلى الله عليه و سلم فيها لكل من مات مؤمنا فالطالب للشفاعة كأنه يتوسل الى الله تعالى بالنبى صلى الله عليه و سلم أن يحفظ عليه الايمان الى أن يتوفاه الله عليه فيدخل فى شفاعة النبى صلى الله عليه و سلم و يكون من أهلها و هذا كله ظاهر لا يخفى الا على من انطمست بصيرته و العياذ بالله تعالى و مما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة و التوسل منع النداء للميت و الجماد و يقولون ان ذلك كفر و اشراك و عبادة لغير الله تعالى و هذا أيضا باطل و مردود و لا مستند لهم فيه و شبهتهم التى يتمسكون بها انهم يزعمون ان النداء دعاء و كل دعاء عبادة بل الدعاء مخ العبادة و حملوا كثيرا من الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين على الموحدين الذين يصدر منهم النداء المذكور و هذا تلبيس فى الدين توصلوا به الى تضليل كثير من الموحدين ❁ و حاصل الرد عليهم ان النداء قد يسمى دعاء كقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لكنه لا يسمى عبادة فليس كل دعاء عبادة و لو كان

كل نداء دعاء و كل دعاء عبادة لشمل ذلك نداء الاحياء و الاموات فيكون كل نداء ممنوعا مطلقا سواء كان للاحياء و الاموات أم للحيوانات و الجمادات و ليس الامر كذلك و انما النداء الذى يكون عبادة هو نداء من يعتقد ألوهيته و استحقاقه للعبادة فيرغبون اليه و يخضعون بين يديه فالذى يوقع فى الاشراك هو اعتقاد ألوهية غير الله تعالى أو اعتقاد التأثير لغير الله تعالى و أما مجرد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته و تأثيره أو استحقاقه للعبادة فانه ليس عبادة و لو كان ميتا أو غائبا أو جمادا و قد ورد فى أحاديث كثيرة نداء الاموات و الجمادات فقولهم كل ندا دعاء و كل دعاء عبادة غير صحيح على اطلاقه و عمومه و لو كان الامر كذلك لامتنع نداء الحى و الميت فانهما مستويان فى ان كلا منهما لا تأثير له فى شئ و لا يعتقد أحد من المسلمين ألوهية غير الله تعالى و لا تأثير أحد سوى الله تعالى فان قالوا ان نداء الحى و الطلب منه لشئ من الاشياء انما هو لكونه قادرا على فعل ذلك الشئ الذى طلبه منه و أما الميت و الجماد فانه عاجز و لا قدرة له على فعل شئ من الاشياء فنقول لهم اعتقادكم أن الحى قادر على بعض الاشياء يستلزم اعتقادكم أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية و هو اعتقاد فاسد و مذهب باطل فان اعتقاد أهل السنة و الجماعة ان الخالق للعباد و أفعالهم هو الله وحده لا شريك له و العبد ليس له الا الكسب الظاهرى قال الله تعالى و الله خلقكم و ما تعملون و قال تعالى الله خالق كل شئ فيستوى الحى و الميت و الجماد فى أن كلا منهم لا خلق له و لا تأثير و المؤثر هو الله تعالى وحده فالذى يقدح فى التوحيد هو اعتقاد التأثير لغير الله أو اعتقاد الالوهية و استحقاق العبادة لغير الله و أما مجرد النداء من غير اعتقاد شئ من ذلك فلا ضرر فيه و الاحاديث التى ورد فيها النداء للاموات و الجمادات من غير اعتقاد الالوهية و التأثير كثيرة منها حديث الاعمى الذى تقدمت روايته عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه فان فيه يا محمد انى أتوجه بك الى ربك و تقدم أن الصحابة رضى الله عنهم استعملوا ذلك الدعاء بعد وفاته صلى الله عليه و سلم و حديث بلال بن الحارث المتقدم أيضا فان فيه أنه جاء الى قبر النبى صلى الله عليه و سلم و قال يا رسول الله استسق لامتك ففيه النداء بعد وفاته صلى الله عليه و سلم و

الخطاب بالطلب منه أن يستسقى لامّته و من ذلك الاحاديث الواردة فى زيارة القبور فان فى كثير منها النداء و الخطاب كقوله السلام عليكم يا أهل القبور السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين و انا ان شاء الله بكم لاحقون ففيها نداء و خطاب و هى أحاديث كثيرة لا حاجة الى الاطالة بذكرها و تقدم أن السلف و الخلف من أهل المذاهب الاربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف يا رسول الله انى قد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى و قد جاءت صورة النداء أيضا فى التشهد الذى يقرؤه الانسان فى كل صلاة حيث يقول السلام عليك أيها النبى و رحمة الله و بركاته و صح عن بلال بن الحارث رضى الله عنه أنه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وا محمداه وا محمداه و صح أيضا أن أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وا محمداه وا محمداه و فى الشفاء للقاضى عياض أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خدلت رجله مرة فقيل له اذكر أحب الناس اليك فقال وا محمداه فانطلقت رجله و جاء الخطاب و النداء للجمادات فى أحاديث كثيرة منها انه صلى الله عليه و سلم كان اذا نزل أرضا قال يا أرض ربى و ربك الله فهذا نداء و خطاب لجماد و لا كفر و لا اشراك فيه اذ ليس فيه اعتقاد ألوهية و استحقاق عبادة و لا اعتقاد تأثير لغير الله تعالى و قد ذكر الفقهاء فى آداب السفر أن المسافر اذا انفلتت دابته بارض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله احبسوا و اذا أضل شيئا أو أراد عونا فليقل يا عباد الله أعينونى أو أغيثونى فان لله عبادا لا نراهم و استدل الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السنى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد عباد الله احبسوا فان لله عبادا يجيبونه ففيه نداء و طلب نفع أى التسبب فى ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم * و فى حديث آخر رواه الطبرانى أنه صلى الله عليه و سلم قال اذا ضل أحدكم شيئا أو أراد عونا و هو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينونى و فى رواية أغيثونى فان لله عبادا لا ترونهم قال العلامة ابن حجر فى حاشيته على ايضاح المناسك و هو مجرب كما قاله الراوى للحديث المذكور * و روى أبوداود و غيره عن عبد الله بن عمر

رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا سافر فاقبل الليل قال يا أرض ربى و ربك الله أعوذ بالله من شرك و شر ما فيك و شر ما خلق فيك و شر ما يدب عليك أعوذ بالله من أسد و اسود و من الحية و العقرب و من شر ساكن البلد و والد و ما ولد و ذكر الفقهاء أنه ليس للمسافر الاتيان بهذا الدعاء اقبال الليل و فيه النداء و الخطاب للجماد ❁ و روى الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما و الدارمى عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه أنه صلى الله عليه و سلم كان اذا رأى الهلال قال ربى و ربك الله ففيه خطاب للجماد و صح أنه لما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم أقبل أبوبكر رضى الله عنه حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى الله عليه و سلم فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى و قال بأبى و أمى طبت حيا و ميتا اذكرنا يا محمد عند ربك و لنكن من بالك و فى رواية للامام أحمد فقبل جبهته ثم قال وا نبياه ثم قبلها ثانيا و قال وا صفياه ثم قبلها ثالثا و قال وا خليلاه ففى ذلك نداء و خطاب له صلى الله عليه و سلم بعد وفاته و لما تحقق عمر رضى الله عنه وفاته صلى الله عليه و سلم بقول أبى بكر رضى الله عنه قال و هو يبكى بأبى أنت و أمى يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا و اتخذت منبرا لتسمعهم حن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكت فامّتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبى أنت و أمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء و ذكرك فى أولهم فقال و اذ أخذنا من النبيين ميثاقهم و منك و من نوح و ابراهيم و موسى و عيسى بأبى أنت و أمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون ان يكونوا أطاعوك و هم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله و أطعنا الرسولا بأبى أنت و أمى يا رسول الله لقد اتبعك فى قصر عمرك ما لم يتبع نوحا فى كبر سنه و طول عمره فانظر الى هذه الالفاظ التى نطق بها عمر رضى الله عنه فقد تعدد فيها النداء له صلى الله عليه و سلم بعد وفاته و قد رواها كثير من أئمة و ذكرها القاضى عياض فى الشفاء و القسطلانى فى المواهب و الغزالى فى الاحياء و ابن الحاج فى المدخل فيبطل بها و بغيرها من الادلة قول المانعين للنداء مطلقا القائلين ان كل نداء دعاء

و كل دعاء عبادة ❁ و روى البخارى عن أنس رضى الله عنه ان فاطمة رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم قالت لما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه و فى رواية الى جبريل نعاه و النعى هو الاخبار بالموت ففى هذا الحديث أيضا نداؤه صلى الله عليه و سلم بعد وفاته و رثته عمته صفية بمرات كثيرة قالت فى مطلع قصيدة منها

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ❁ و كنت بنا برا و لم تك جافيا

ففى هذا البيت أيضا نداؤه صلى الله عليه و سلم بعد وفاته و لم ينكر عليها أحد من الصحابة مع حضورهم و سماعهم له ❁ و مما جاء من النداء للميت التلقين له بعد الدفن و قد ذكره كثير من الفقهاء و استندوا فى ذلك الى حديث الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه و اعتضد بشواهد كثيرة و صورته أن يقال للميت عند قبره بعد دفنه يا عبد الله ابن أمة الله اذكر العهد الذى خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الاّ الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله و ان الجنة حق و أن النار حق و أن الساعة آتية لا ريب فيها و أن الله يبعث من فى القبور قل رضيت بالله ربا و بالاسلام دينا و بمحمد صلى الله عليه و سلم نبيا و بالكعبة قبلة و بالمسلمين اخوانا ربى الله لا اله الاّ هو رب العرش العظيم ففى التلقين الخطاب و النداء للميت فكيف يمنعون النداء مطلقا و من النداء للميت ما جاء فى الحديث المشهور حيث نادى النبى صلى الله عليه و سلم كفار قريش المقتولين يوم بدر بعد القائهم من القلب رواه البخارى و أصحاب السنن و ذكروا أن النبى صلى الله عليه و سلم جعل يناديهم باسمائهم و أسماء آبائهم و يقول أيسركم انكم أطعتم الله و رسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا و أما ما جاء به من الآثار عن الائمة الاحبار و العلماء الاخيار و الاولياء الكبار مما يدل على جواز ذلك النداء و الخطاب فشئ كثير تنقضى دون نقله الاعمار و مضى على ذلك القرون و الاعصار و لاوقع منهم أنكار فكيف يجوز الاقدام على تكفير المسلمين بشئ أقام ثبوته بالبراهين و فى الحديث الصحيح من قال لاخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال و الا

رجعت عليه قال العلماء ترك قتل ألف كافر أولى من اراقة دم امرئ مسلم فيجب الاحتياط فى ذلك فلا يحكم على أحد من أهل القبلة بالكفر الا بامر واضح قاطع للاسلام و رأيت رسالة للشيخ محمد بن سليمان الكردى المدنى صاحب الحواشى على مختصر بافضل فى الفقه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه قال فى تلك الرسالة يخاطب محمد بن عبد الوهاب حين قام بالدعوة و كان محمد بن عبد الوهاب من تلامذة الشيخ محمد بن سليمان المذكور و قرأ عليه بالمدينة المنورة قال فى تلك الرسالة يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى فانى أنصحك بالله تعالى أن تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب و اذكر له الادلة على انه لا تأثير لغير الله تعالى فان أبى فكفره حينئذ بخصوصه و لا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين و أنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيرا و انما يأكل الذئب من الغنم القاصية اهـ

﴿و الحاصل﴾ أن هؤلاء المانعين للزيارة و التوسل قد تجاوزوا الحد فكفروا أكثر الامة و استحلوا دماءهم و أموالهم وجعلوهم مثل المشركين الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه و سلم و قالوا ان الناس مشركون فى توسلهم بالنبى صلى الله عليه و سلم و بغيره من الانبياء و الاولياء و الصالحين و فى زيارتهم قبره صلى الله عليه و سلم و ندائهم له بقولهم يا رسول الله نسألك الشفاعة و حملوا الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين على خواص المؤمنين و عوامهم كقوله تعالى فلا تدعو مع الله أحدا و قوله تعالى و من أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة و هم عن دعائهم غافلون و اذا حشر الناس كانوا لهم أعداء و كانوا بعبادتهم كافرين و قوله تعالى و لا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين و قوله تعالى له دعوة الحق و الذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الاّ كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه و ما هو ببالغه و ما دعاء الكافرين الاّ فى ضلال و

قوله تعالى و الذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم و لو سمعوا ما استجابوا لكم و يوم القيامة يكفرون بشرككم و لا ينبئك مثل خبير و قوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب و يرجون رحمته و يخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا و أمثال هذه الآيات فى القرآن كثيرة كلها حملوا الدعاء فيها على النداء ثم حملوها على المؤمنين الموحدين و قالوا ان من استغاث بالنبى صلى الله عليه و سلم و بغيره من الانبياء و الاولياء و الصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فانه يكون مثل هؤلاء المشركين و يكون داخلا فى عموم هذه الآيات و انهم مثل المشركين الذين كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فان المشركين ما اعتقدوا فى الاصنام التأثير و انها تخلق شيئا بل كانوا يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى و لئن سألتهم من خلق السموات و الارض ليقولن خلقهن العزيز العليم فما حكم الله عليهم بالكفر و الاشراك الاّ لقولهم ليقربونا الى الله زلفى فهؤلاء مثلهم و قالوا ان التوحيد نوعان توحيد الربوبية و هو الذى أقر به المشركون و توحيد الالوهية و هو الذى أقر به الموحدون و هو الذى يدخل فى دين الاسلام و أما توحيد الربوبية فلا يكفى و كلامهم كله باطل لان الدعاء الذى فى الآيات بمعنى العبادة و هم ليسوا على الخلق و جعلوه بمعنى النداء و قد علمت بطلانه من النصوص السابقة و أما جعلهم التوحيد نوعين توحيد الربوبية و توحيد الالوهية فباطل فان توحيد الربوبية هو توحيد الالوهية ألا ترى الى قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى و لم يقل ألست بالهكم فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية و من المعلوم أن من أقرّ لله بالربوبية فقد أقر له بالالوهية اذ ليس الرب غير الاله بل هو الاله بعينه و فى الحديث ان الملكين يسألان العبد فى قبره فيقولان له من ربك و لم يقولا له من الهك فدل على أن توحيد الربوبية هو توحيد الالوهية و من العجب أن هؤلاء القوم يأتيهم المسلم فيقول أشهد أن لا اله الاّ الله و اشهد ان محمّدا رسول الله فيقولون له أنت لم تعرف التوحيد و توحيدك هذا توحيد الربوبية و ما عرفت توحيد الالوهية فيستحلون دمه و ماله بالتلبيسات الباطلة و

هل للكافر توحيد صحيح فانه لو كان للكافر توحيد صحيح لاخرجه من النار اذ لا يبقى فيها موحد فهل سمعتم أيّها المسلمون فى الاحاديث و السير أن رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا قدمت عليه أجلاف العرب ليسلموا على يده يفصل لهم توحيد الربوبية و الالوهية و يخبرهم أن توحيد الالوهية هو الذى يدخلهم فى دين الاسلام و يكتفى منهم بمجرد الشهادتين و ظاهر اللفظ و يحكم باسلامهم فما هذا الافتراء على الله و رسوله فان من وحد الرب فقد وحد الاله و من أشرك بالرب أشرك بالاله فليس للمسلمين اله غير الرب فاذا قالوا لا اله الاّ الله انما يعتقدون أنه هو ربهم فينفون الالوهية عن غيره كما ينفون الربوبية عن غيره أيضا و يثبتون له الوحدانية فى ذاته و صفاته و أفعاله و الذى أوقع المشركين فى الشرك و الكفر ليس مجرد قولهم ما نعبدهم الاّ ليقربونا الى الله زلفى كما زعم هذا القائل بل اعتقادهم أن غير الله قد يكون الها يستحق العبادة و ان كانوا يعتقدون أن الخالق و المؤثر هو الله تعالى فلما اعتقدوا ألوهية غير الله و استحقاقه العبادة و أقيمت عليهم الحجة بأنهم لا يملكون لكم ضرا و لا نفعا و لا يخلقون و هم يخلقون قالوا ما نعبدهم الاّ ليقربونا الى الله زلفى فاعتقادهم الالوهية و استحقاق العبادة لغيره هو الذى أوقعهم فى الشرك و لم ينفعهم اعتقادهم أن الخالق و المؤثر هو الله مع وجود اعتقادهم ألوهية غير الله و استحقاقه العبادة و أما المسلمون فانهم و لله الحمد بريئون من ذلك اذ لا يعتقدون شيئا يستحق الالوهية و العبادة غير الله فهذا هو الفرق بين الحالين و أما هؤلاء الجاهلون المكفرون للمسلمين فانهم لما لم يعرفوا الفرق بين الحالتين تخبطوا و قالوا ان التوحيد نوعان توحيد الربوبية و توحيد الالوهية و توصلوا بذلك الى تكفير المسلمين فتأمل فيما تقدم من النصوص يتضح لك الحال ان شاء الله تعالى و تعلم ان ما عليه السواد الاعظم هو الحق الذى لا محيص عنه و مما يعتقده هؤلاء الملحدون المكفرة للمسلمين ان قصد الصالحين و الاعتقاد فيهم و التبرك بهم شرك أكبر و هذا أيضا باطل فان رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر صاحبيه عمر بن الخطاب و على بن أبى طالب رضى الله عنهما أن يقصدا أويسا القرنى و يسألانه الدعاء و الاستغفار كما فى صحيح مسلم و أما التبرك بآثار المسلمين

الصالحين فقد كان الصحابة رضى الله عنهم يزدحمون على ماء وضوئه يتبركون به و اذا تنخم أو بصق يأخذون ذلك و يتمسحون به و ازدحموا على الحلاق عند حلق رأسه صلى الله عليه و سلم و اقتسموا شعره يتبركون به و شرب عبد الله بن الزبير دمه صلى الله عليه و سلم لما احتجم و شربت أم أيمن بوله فقال لها صحة يا أم أيمن و كل ذلك ثابت فى الاحاديث الصحيحة و لا ينكر ذلك الا جاهل أو معاند بل ثبت انه صلى الله عليه و سلم جعل سقاية العباس رضى الله عنه ليشرب من ماء السقاية فأمر العباس ابنه عبد الله ان يأتى للنبى صلى الله عليه و سلم بماء آخر من الدار غير ما يشرب منه المسلمون لانه استقذره و قال يا رسول الله هذا تمسه الايدى نأتيك بماء غيره فقال لا انما أريد بركة المسلمين و ما مسته أيديهم فاذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول ذلك فما بالك بغيره فكل مسلم له نور و بركة و لا نعتقد التأثير لغير الله سبحانه و تعالى فطلب بركة الصالحين بالتماس آثارهم ليس فيه شئ من الاشراك و لا الحرمة و انما هؤلاء القوم يلبسون على المسلمين توصلا الى أغراضهم فلا حول و لا قوّة الاّ بالله العلى العظيم فلا يعتقدون موحدا الا من تبعهم فيما يقولون فصار الموحدون على زعمهم أقل من كل قليل كان محمد بن عبد الوهاب هو الذى ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة فى مسجد الدرعية و يقول فى كل خطبة و من توسل بالنبى فقد كفر و كان أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من أهل العلم فكان ينكر عليه انكارا شديدا فى كل ما يفعله أو يأمر به و لم يتبعه فى شئ مما ابتدعه و قال له أخوه سليمان يوما كم أركان الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب فقال خمسة فقال أنت جعلتها ستة السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا عندك ركن سادس للاسلام و قال رجل آخر يوما لمحمد بن عبد الوهاب كم يعتق الله كل ليلة فى رمضان فقال له يعتق فى كل ليلة مائة ألف و فى آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق فى الشهر كله فقال له لم يبلغ من اتبعك عشر عشر ما ذكرت فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى و قد حصرت المسلمين فيك و فيمن اتبعك فبهت الذى كفر و لما طال النزاع بينه و بين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل الى المدينة المنورة و ألف رسالة فى الرد عليه و أرسلها له

فلم ينته و ألف كثير من علماء الحنابلة و غيرهم رسائل فى الرد عليه و أرسلوها له فلم ينته و قال رجل آخر مرة و كان رئيسا على قبيلة بحيث لا يقدر أنه يسطو عليه ما تقول اذا أخبرك رجل صادق ذو دين و أمانة و أنت تعرف صدقه بان قوما كثيرين قصدوك و هم وراء الجبل الفلانى فأرسلت لهم ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا أثرا و لا واحدا منهم بل ما جاء تلك الارض أحد منهم أتصدق الالف أم الواحد الصادق عندك فقال أصدق الالف فقال ان جميع المسلمين من العلماء الاحياء منهم و الاموات فى كتبهم يكذبون ما أتيت به و يزيغونه فنصدقهم و نكذبك فلم يعرف جوابا لذلك و قال له رجل آخر مرة هذا الدين الذى جئت به متصل أم منفصل فقال له حتى مشايخى و مشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون فقال له الرجل اذا دينك منفصل لا متصل فعن من أخذته فقال وحى الهام كالخضر قال له اذا ليس ذلك محصورا فيك كل أحد يمكنه أن يدعى وحى الالهام الذى تدعيه ثم قال له ان التوسل مجمع عليه عند أهل السنة حتى ابن تيمية فانه ذكر فيه وجهين و لم يذكر ان فاعله يكفر بل حتى الرافضة و الخوارج و كافة المبتدعة يقولون بصحة التوسل به صلى الله عليه و سلم فلا وجه لك فى التكفير أصلا فقال له محمد بن عبد الوهاب ان عمر استسقى بالعباس فلم لم يستسق بالنبى صلى الله عليه و سلم و مقصد محمد ابن عبد الوهاب بذلك أن العباس كان حيا و أن النبى صلى الله عليه و سلم ميت فلا يستسقى به فقال له ذلك الرجل هذا حجة عليك فان استسقاء عمر بالعباس انما كان لاعلام الناس بصحة الاستسقاء و التوسل بغير النبى صلى الله عليه و سلم و كيف تحتج باستسقاء عمر بالعباس و عمر الذى روى حديث توسل آدم بالنبى صلى الله عليه و سلم قبل أن يخلق فالتوسل بالنبى صلى الله عليه و سلم كان معلوما عند عمر و غيره و انما أراد عمر أن يبين للناس و يعلمهم صحة التوسل بغير النبى صلى الله عليه و سلم فبهت و تحيّر و بقى على عماوته و مقابحه الشنيعة و من مقابحه أنه لما منع الناس من زيارة النبى صلى الله عليه و سلم خرج ناس من الاحساء و زاروا النبى صلى الله عليه و سلم و بلغه خبرهم فلما رجعوا مروا عليه بالدرعية فأمر بحلق لحاهم ثم أركبهم مقلوبين من

الدرعية الى الاحساء و بلغه مرة أن جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة و الحج و عبروا على الدرعية فسمعه بعضهم يقول لمن اتبعه خلوا المشركين يسيرون طريق المدينة و المسلمين يعنى أتباعه يخلفون معنا و كان ينهى على الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم و يتأذى من سماعها و ينهى عن الاتيان بها ليلة الجمعة و عن الجهر بها على المنائر و يؤذى من يفعل ذلك و يعاقبه أشد العقاب حتى انه قتل رجلا أعمى كان مؤذنا صالحا ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم فى المنارة بعد الاذان فلم ينته و أتى بالصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم و أمر بقتله فقتل ثم قال ان الربابة فى بيت الخاطئة يعنى الزانية أقل اثما ممن ينادى بالصلاة على النبى فى المنائر و يلبس على أصحابه بان ذلك كله على التوحيد فما أفظع قوله و ما أشنع فعله و أحرق دلائل الخيرات و غيرها من كتب الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم و يتستر بقوله ان ذلك بدعة و انه يريد المحافظة على التوحيد و كان يمنع اتباعه من مطالعة كتب الفقه و التفسير و الحديث و أحرق كثيرا و أذن لكل من اتبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج من أتباعه فكان كل واحد منهم يفعل ذلك و لو كان لا يحفظ القرآن و لا شيئا منه فيقول الذى لا يقرأ منهم لآخر يقرأ اقرأ على حتى أفسر لك فاذا قرأ عليه يفسره له برأيه و أمرهم أن يعملوا و يحكموا بما يفهمونه و جعل ذلك مقدما على كتب العلم و نصوص العلماء و كان يقول فى كثير من أقوال الائمة الاربعة ليست بشئ و تارة يتستر و يقول ان الائمة على حق و يقدح فى اتباعهم من العلماء الذين ألفوا فى المذاهب الاربعة و حرروها و يقول انهم ضلوا و أضلوا و تارة يقول ان الشريعة واحدة فما لهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة هذا كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم لا نعمل الا بهما و لا نقتدى بقول مصرى و شامى و هندى يعنى بذلك أكابر علماء الحنابلة و غيرهم ممن لهم تأليف فى الرد عليه فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه و ان خالف النصوص الشرعية و اجماع الامة و ضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه و ان كان على نص جلى اجمعت عليه الامة و كان ينتقص النبي صلى الله عليه و سلم بعبارات مختلفة و يزعم ان قصده المحافظة على

التوحيد فمنها ان يقول أنه طارش و هو فى لغة أهل المشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم الى آخرين فمراده أنه صلى الله عليه و سلم حامل كتب أى غاية أمره أنه كالطارش انه يرسله الامير أو غيره فى أمر لاناس ليبلغهم اياه ثم ينصرف و منها أنه كان يقول نظرت فى قصة الحديبية فوجدت بها كذا كذا كذبة الى غير ذلك مما يشابه هذا حتى ان أتباعه كانوا يفعلون مثل ذلك أيضا و يقولون مثل قوله بل أقبح مما يقول و يخبرونه بذلك فيظهر الرضا و ربما انهم قالوا ذلك بحضرته فيرضى به حتى ان بعض أتباعه كان يقول عصاى هذه خير من محمد لانها ينتفع بها فى قتل الحية و نحوها و محمد قد مات و لم يبق فيه نفع أصلا و انما هو طارش و قد مضى ❋ قال بعض من ألف فى الرد عليه ان ذلك كفر فى المذاهب الاربعة بل هو كفر عند جميع الاسلام

﴿و كان محمد بن عبد الوهاب﴾ فى مبتدإ أمره يطلب العلم بالمدينة و أصله من بنى تميم و كان من طلبة العلم بالمدينة يتردد بينها و بين مكة فأخذ عن كثير من علماء المدينة منهم الشيخ محمد بن سليمان الكردى الشافعى و الشيخ محمد حياة السندى و كان الشيخان المذكوران و غيرهما من أشياخه يتفرسون فيه الالحاد و الضلال و يقولون سيضل هذا و يضل الله به من أبعده و أشقاه فكان الامر كذلك و ما أخطأت فراستهم فيه و كان والده عبد الوهاب من العلماء الصالحين فكان أيضا يتفرس فى ولده المذكور الالحاد و يذمه كثيرا و يحذر الناس منه و كذا أخوه سليمان بن عبد الوهاب فكان ينكر ما أحدثه من البدع و الضلال و العقائد الزائغة و تقدم أنه ألف كتابا فى الرد عليه و كانت ولادة محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١١ ألف و مائة و احدى عشر و عاش عمرا طويلا حتى بلغ عمره اثنين و تسعين سنة فانه توفى سنة ١٢٠٦ و لما أراد اظهار ما زينه له الشيطان من البدعة و الضلالة أنتقل من المدينة و رحل الى الشرق و صار يدعو الناس الى التوحيد و ترك الشرك و يزخرف القول و يفهمهم أن ما عليه الناس كله شرك و ضلال و يظهر لهم عقيدته شيئا فشيئا فتبعه كثير من غوغاء الناس و عوام البوادى و كان ابتداء ظهور أمره فى الشرق سنة ١١٤٣ ألف و مائة و ثلاثة و أربعين و اشتهر أمره بعد الخمسين و ألف و مائة بنجد و قراها

فتبعه و قام بنصرته أمير الدرعية محمد ابن سعود و جعل ذلك وسيلة الى اتساع ملكه و نفاذ أمره فحمل أهل الدرعية على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول فتبعه أهل الدرعية و ما حولها و ما زال يطيعه على ذلك كثير من أحياء العرب حى بعد حى و قبيلة بعد قبيلة حتى قوى أمره فخافته البادية فكان يقول لهم انما ادعوكم الى التوحيد و ترك الشرك بالله و يزين لهم القول و هم بوادى فى غاية الجهل لا يعرفون شيئا من أمور الدين فاستحسنوا ما جاءهم به و كان يقول لهم انى أدعوكم الى الدين و جميع ما هو تحت السبع الطباق مشرك على الاطلاق و من قتل مشركا فله الجنة فتابعوه و صارت نفوسهم بهذا القول مطمئنة فكان محمد بن عبد الوهاب بينهم كالنبى فى أمّته لا يتركون شيئا مما يقول و لا يفعلون شيئا الا بأمره و يعظمونه غاية التعظيم و اذا قتلوا انسانا أخذوا ماله و أعطوا الامير محمد ابن سعود منه الخمس و اقتسموا الباقي فكانوا يمشون معه حيثما مشى و يأتمرون له بما شاء و الامير محمد بن سعود ينفذ ما يقول حتى اتسع له الملك و كانوا قبل اتساع ملكهم و تطاير شررهم أرادوا الحج فى دولة الشريف مسعود بن سعيد بن معد بن زيد و كانت ولاية الشريف مسعود امارة مكة سنة ١١٤٦ ست و أربعين و مائة و ألف و وفاته سنة خمس و ستين و مائة و ألف فارسلوا يستأذنونه فى الحج و غاية مرادهم اظهار عقيدتهم و حمل أهل الحرمين عليها فارسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظنا منهم أنهم يفسدون عقائد أهل الحرمين و يدخلون عليهم الكذب و المين و طلبوا الاذن فى الحج و لا شئ مقرر عليهم كل عام يدفعونه و كان أهل الحرمين قد سمعوا بظهورهم فى نجد و افسادهم عقائد البوادى و لم يعرفوا حقيقة ذلك فلما وصل علماؤهم مكة أمر الشريف مسعود أن يناظر علماء الحرمين العلماء الذين بعثوهم فناظروهم فوجدوهم ضحكة و مسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة و نظروا الى عقائدهم فاذا هى مشتملة على كثير من المكفرات فبعد ان أقاموا عليهم الحجة و البرهان أمر الشريف مسعود قاضى الشرع أن يكتب بكفرهم الظاهر ليعلم به الاول و الآخر و أمر بسجن أولئك الملاحدة الانذال و وضعهم فى السلاسل و الاغلال فقبض منهم جماعة و سجنهم و فر الباقون و وصلوا الى الدرعية و

أخبروا بما شاهدوا فعتى أميرهم و استكبر و نأى عن هذا المقصد و تأخر الى أن مضت دولة الشريف مسعود سنة ١١٦٥ و ولى امارة مكة أخوه الشريف مساعد بن سعيد فارسلوا أيضا يستأذنونه فى الحج فأبى و امتنع من الاذن لهم فضعفت عن الوصول مطامعهم فلما مضت دولة الشريف مساعد و توفى سنة ١١٨٤ أربع و ثمانين و مائة و ألف و ولى امارة مكة الشريف أحمد بن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائهم فأمر العلماء أن يختبروهم فاختبروهم فوجدوهم لا يتدينون الا بدين الزنادقة فأبى أن يأذن لهم فى الحج ثم انتزع امارة مكة منه ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد سنة ١١٨٦ ست و ثمانين و مائة و ألف فارسلوا فى مدة الشريف سرور يستأذنون فى الحج فأجابهم بانكم ان أردتم الوصول أخذ منكم فى كل سنة مثل ما أخذ من الرافضة و الاعجام و زيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد فعظم عليهم دفع ذلك و ان يكونوا مثل الرافضة فلما توفى الشريف سرور سنة ١٢٠٢ ألف و مائتين و اثنين و ولى امارة مكة أخوه الشريف غالب أرسلوا أيضا يستأذنون فى الحج فمنعهم و تهددهم بالركوب عليهم و جهز عليهم جيشا فى سنة ١٢٠٥ ألف و مائتين و خمسة و تتابع بينه و بينهم القتال و الحرب من سنة ١٢٠٥ ألف و مائتين وخمسة الى سنة ١٢٢٠ ألف و مائتين و عشرين حتى دخلوا مكة بعد ان عجز عن دفعهم و وقع بينه و بينهم وقعات كثيرة قبل دخولهم مكة يطول الكلام بذكرها و كانوا فى هذه المدة اتسع ملكهم و تطاير شررهم فملكوا جزيرة العرب فملكوا أولا المشرق ثم اقليم الاحساء و البحرين و عمان و مسكت و قرب ملكهم من بغداد و البصرة و ملكوا الحرار باسرها ثم الخيوف ذوات النخل ثم الحريبة و الفرع و جهينة ثم ملكوا ما بين مدينة النبى صلى الله عليه و سلم و الشام حتى قرب ملكهم من الشام و حلب و ملكوا العرب الذين بين الشام و حلب و بغداد و ملكوا المدينة و مكة و قبل أن يملكوا مكة ملكوا القبائل التى حولها و الطائف و القبائل التى حوله و لما ملكوا الطائف فى ذى القعدة سنة ١٢١٧ هـ. [١٨٠٢ م.] ألف و مائتين و سبعة عشر قتلوا الكبير و الصغير و المأمور و الآمر و لم ينج الا من طال عمره و كانوا يذبحون الصغير على صدر أمه و نهبوا الاموال و سبوا النساء و فعلوا أشياء يطول الكلام

بذكرها ثم قصدوا مكة فى المحرم فى سنة ١٢١٨ ألف و مائتين و ثمانية عشر و لم يكن للشريف طاقة بقتالهم فترك لهم مكة و نزل الى جدة فخرج ناس من أهل مكة اليهم قبل دخولهم بمرحلتين و أخذوا منهم الامان لاهل مكة فدخلوها بالامان ثم توجهوا الى جدة لقتال الشريف غالب فقاتلهم و أطلق عليهم المدافع فلم يستطيعوا دخول جدة فارتحلوا الى ديارهم فى شهر صفر سنة ١٢١٨ ألف و مائتين و ثمانية عشر و أبقوا بمكة من يقوم بحفظها من جماعتهم و فى شهر ربيع الاول من السنة المذكورة رجع الشريف غالب من جدة و معه الباشا صاحب جدة و كثير من العساكر و أخرج من كان بمكة من جماعتهم و استولى على مكة كما كان ثم تتابع بينه و بينهم الحرب و الغزوات الى سنة ١٢٢٠ عشرين و مائتين و ألف فتغلبوا و ملكوا جميع الاطراف و حاصروا مكة حتى اشتد البلاء و عم الغلاء و أكل الناس الكلاب و الجيف ثم عقد الشريف غالب معهم الصلح فدخلوا مكة بالصلح و استمر ملكهم بها الى سنة ١٢٢٧ سبعة و عشرين و مائتين و ألف فأمر مولانا السلطان محمود الوزير بمصر المعظم و المشير المفخم محمد على باشا فجهز عليهم الجيوش حتى أخرجهم من الحرمين ثم بعث الجيوش الى قتالهم فى ديارهم و سار مع بعض الجيوش بنفسه حتى استأصلهم و قطع دابرهم و أرخ بعض العلماء تاريخ خروجهم من مكة بقوله ﴿قطع دابر الخوارج﴾ و الكلام على وقائعهم و ما فعلوه بالمسلمين يطول فلا حاجة لذكره و كان الامير الاول محمد بن سعود فلما مات قام أولاده بعده بما قام به و لما مات محمد بن عبد الوهاب قام أولاده أيضا بما قام به و كان الامير محمد ابن سعود و أولاده اذا ملكوا قبيلة سلطوها على من دنا و اقترب منها و يسلط الاخرى على ما بعده حتى ملك جميع القبائل و اذا أراد أن يغزو بلدة من البلدان كتب لكل قبيلة يريد مسيرها معه كتابا بقدر الخنصر يطلب منهم الحضور فيأتون اليه و معهم جميع ما يحتاجون اليه من زاد و غيره و لا يكلفونه بشئ و ليس له عسكر و لا جند و لا ديوان يحصيهم و اذا انتهبوا شيئا يأخذون الاربعة الاخماس و يعطونه الخمس و يسيرون معه أينما يسير ألوفا مؤلفة لا يحصيهم الا الله تعالى و لا يستطيعون مخالفته فى نقير و لا قطمير و هذه بلية ابتلى الله

بها عباده و هى فتنة من أعظم الفتن التى ظهرت فى الاسلام طاشت من بلاياها العقول و حار فيها أرباب المعقول لبسوا فيها على الاغبياء ببعض الاشياء التى توهمهم أنهم قائمون بأمر الدين و ذلك مثل أمرهم البوادى باقامة الصلوات و المحافظة على الجمعة و الجماعات و منعهم من الفواحش الظاهرة كالزنا و اللواط و قطع الطريق فامنوا الطرقات و صاروا يدعون الناس الى التوحيد فصار الاغبياء الجاهلون يستحسنون حالهم و يغفلون و يذهلون عن تكفيرهم المسلمين فانهم كانوا يحكمون على الناس بالكفر من منذ ستمائة سنة و غفلوا أيضا عن استباحتهم أموال الناس و دماءهم و انتهاكهم حرمة النبى صلى الله عليه و سلم بارتكابهم أنواع التحقير له و لمن أحبه و غير ذلك من مقابحهم التى ابتدعوها و كفروا الامة بها و كانوا اذا أراد أحد أن يتبعهم على دينهم طوعا أو كرها يأمرونه بالاتيان بالشهادتين أولا ثم يقولون له اشهد على نفسك انك كنت كافرا و اشهد على والديك أنهما ماتا كافرين و اشهد على فلان و فلان انه كان كافرا و يسمون له جماعة من أكابر العلماء الماضين فان شهدوا بذلك قبلوهم و الا أمروا بقتلهم و كانوا يصرحون بتكفير الامة من منذ ستمائة سنة و أول من صرح بذلك محمد بن عبد الوهاب فتبعوه على ذلك و اذا دخل انسان فى دينهم و كان قد حج حجة الاسلام قبل ذلك يقولون له حج ثانيا فان حجتك الاولى فعلتها و أنت مشرك فلا تسقط عنك الحج و يسمون من اتبعهم من الخارج المهاجرين و من كان من أهل بلدتهم يسمونه الانصار و الظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعى النبوّة الا أنه ما قدر على اظهار التصريح بذلك و كان فى أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب و سجاح و الاسود العنسى و طليحة و اضرابهم فكانه يضمر فى نفسه دعوى النبوّة و لو أمكنه اظهار هذه الدعوى لاظهرها و كان يقول لاتباعه انى أتيتكم بدين جديد و يظهر ذلك من أقواله و أفعاله و لهذا كان يطغى فى مذاهب الائمة و أقوال العلماء و لم يقبل من دين نبينا صلى الله عليه و سلم الا القرآن و يؤوله على حسب مراده مع أنه انما قبله ظاهرا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشف عنه بدليل أنه هو و اتباعه انما يؤولونه على حسب ما يوافق أهواءهم لا بحسب ما فسره به النبى صلى الله عليه و سلم و

أصحابه السلف الصالح و أئمة التفسير فانه كان لا يقول بذلك و لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبى صلى الله عليه و سلم و أقاويل الصحابة و التابعين و الائمة المجتهدين و لا بما استنبطه الائمة من القرآن والحديث و لا يأخذ بالاجماع و لا بالقياس الصحيح و كان يدعى الانتساب الى مذهب الامام أحمد رضى الله عنه كذبا و تسترا و زورا و الامام أحمد برئ منه و لذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرد عليه و ألفوا فى الرد عليه رسائل كثيرة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة فى الرد عليه كما تقدم و تمسك فى تكفير المسلمين بآيات نزلت فى المشركين فحملها على الموحدين و قد روى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى وصف الخوارج أنهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها فى المؤمنين و فى رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخارى أنه صلى الله عليه و سلم قال أخوف ما أخاف على أمّتى رجل متداول للقرآن يضعه فى غير موضعه فهذا و ما قبله صادق على ابن عبد الوهاب و من تبعه و أعجب من ذلك كله أنه كان يكتب الى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين اجتهدوا بحسب فهمكم و انظروا و احكموا بما ترونه مناسبا لهذا الدين و لا تلتفتوا لهذه الكتب فان فيها الحق و الباطل و قتل كثيرا من العلماء و الصالحين و عوام المسلمين لكونهم لم يوافقوه على ما ابتدعه و كان يقسم الزكاة على ما يأمره به شيطانه و هواه و كان أصحابه لا يتخذون مذهبا من المذاهب بل يجتهدون كما أمرهم و يستترون ظاهرا بمذهب الامام أحمد و يلبسون بذلك على العامة و كان ينهى عن الدعاء بعد الصلاة و يقول ان ذلك بدعة و انكم تطلبون بذلك أجرا و قد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الاربعة للرد عليه فى كتب مبسوطة عملا بقول النبى صلى الله عليه و سلم اذا ظهرت البدع و سكت العالم فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين و بقوله صلى الله عليه و سلم ما ظهر أهل بدعة الا أظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق و المغرب من علماء المذاهب و التزم بعضهم فى الرد عليه باقوال الامام أحمد و أهل مذهبه و سألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها لانه لم يكن له

تمكن فى العلوم و انما عرف هذه النزغات التى زينها له الشيطان فممن ألف فى الرد عليه و سأله عن بعض المسائل فعجز العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق فانه ألف كتابا جليلا سماه تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين و رد عليه فى كل مسألة من المسائل التى ابتدعها بابلغ الرد ثم سأله عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية و الادبية بسؤالات أجنبية عن الرسالة كتبها و أرسلها له فعجز عن الجواب عن أقلها فضلا عن أجلها فمن جملة ما سأله عنه قوله أسألك عن قوله تعالى و العاديات ضبحا الى آخر السورة التى هى من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية و حقيقة لغوية و حقيقة عرفية و كم فيها من مجاز مرسل و مجاز مركب و استعارة حقيقية و استعارة وفاقية و استعارة تبعية و استعارة مطلقة و استعارة مجردة و استعارة مرشحة و أين الوضع و الترشيح و التجريد و الاستعارة بالكناية و الاستعارة التخييلية و كم فيها من التشبيه الملفوف و المفروق و المفرد و المركب و ما فيها من المجمل و المفصل و ما فيها من الايجاز و الاطناب و المساواة و الاسناد الحقيقى و الاسناد المجازى المسمى بالمجاز الحكمى و العقلى و أى موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر و بالعكس و ما موضع ضمير الشأن و موضع الانتفات و موضع الفصل و الوصل و كمال الاتصال و كمال الانقطاع و الجامع بين كل جملتين متعاطفين و محل تناسب الجمل و وجه التناسب و وجه كماله فى الحسن و البلاغة و ما فيها من ايجاز قصر و ايجاز حذف و ما فيها من احتراس و تتميم و بين لنا موضع كل ما ذكر فلم يقدر محمد بن عبد الوهاب على الجواب عن شئ مما سأله عنه و قد أخبر النبى صلى الله عليه و سلم عن هؤلاء الخوارج فى أحاديث كثيرة فكانت تلك الاحاديث من اعلام نبوة النبى صلى الله عليه و سلم لانها من الاخبار بالغيب و تلك الاحاديث كلها صحيحة بعضها فى صحيحى البخارى و مسلم و بعضها فى غيرهما فمنها قوله صلى الله عليه و سلم الفتنة من هاهنا الفتنة من هاهنا و أشار الى المشرق و قوله صلى الله عليه و سلم يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه سيماهم التحليق اهـ و الفوق بضم الفاء موضع الوتر و

قوله صلى الله عليه و سلم سيكون فى أمتى اختلاف و فرقة قوم يحسنون القيل و يسيؤن الفعل يقرؤن القرآن لا يجاوز ايمانهم تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يعود السهم الى فوقه هم شر الخلق و الخليقة طوبى لمن قتلهم و قتلوه يدعون الى كتاب الله و ليسوا منه فى شئ من قتلهم كان أولى بالله منهم سيماهم التحليق و قوله صلى الله عليه و سلم سيخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون قول خير البرية يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة و قوله صلى الله عليه و سلم أناس من أمتى سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه سيماهم التحليق و قوله صلى الله عليه و سلم رأس الكفر نحو المشرق و الفخر و الخيلاء فى أهل الخيل و الابل و قوله صلى الله عليه و سلم من هاهنا جاءت الفتنة و أشار نحو المشرق و قوله صلى الله عليه و سلم غلظ القلوب و الجفاء بالمشرق و الايمان فى أهل الحجاز و قوله صلى الله عليه و سلم اللّهم بارك لنا فى شامنا اللّهم بارك لنا فى يمننا قالوا يا رسول الله و فى نجدنا قال اللّهم بارك لنا فى شامنا اللّهم بارك لنا فى يمننا و قال فى الثالثة هناك الزلازل و الفتن و بها يطلع قرن الشيطان و قوله صلى الله عليه و سلم يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما طلع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال و فى قوله صلى الله عليه و سلم سيماهم التحليق تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لابن عبد الوهاب فيما ابتدعه لانهم كانوا يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه و لا يتركونه يفارق مجلسهم اذا اتبعهم حتى يحلقوا رأسه و لم يقع مثل هذا قط من أحد من الفرقة الضالة التى مضت قبلهم فالحديث صريح فيهم و كان السيد عبد الرحمن الاهدل مفتى زبيد يقول لا يحتاج ان يؤلف أحد تأليفا للرد على ابن عبد الوهاب بل يكفى فى الرد عليه قوله صلى الله عليه و سلم سيماهم التحليق فانه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم و كان ابن عبد الوهاب يأمر أيضا بحلق رؤس النساء اللاتى يتبعنه

فأقامت عليه الحجة مرة امرأة دخلت فى دينه كرها و جددت اسلامها على زعمه فأمر بحلق رأسها فقالت له أنت تأمر الرجال بحلق رؤسهم فلو أمرت بحلق لحاهم لساغ ذلك أن تأمر بحلق رؤس النساء لان شعر الرأس للمرأة بمنزلة اللحية للرجال فبهت الذى كفر و لم يجد لها جوابا لكنه انما فعل ذلك ليصدق عليه و على من اتبعه قوله صلى الله عليه و سلم سيماهم التحليق فان المتبادر منه حلق الرأس فقد صدق صلى الله عليه و سلم فيما قال و قوله صلى الله عليه و سلم حين أشار الى المشرق من حين يطلع قرن الشيطان جاء فى رواية قرنا الشيطان بصيغة التثنية قال بعض العلماء المراد من قرنى الشيطان مسليمة الكذاب و ابن عبد الوهاب و جاء فى بعض الروايات و بها يعنى نجد الداء العضال قال بعض الشراح و هو الهلاك و فى بعض التواريخ بعد ذكر قتال بنى حنيفة قال و يخرج فى آخر الزمان فى بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام و جاء فى بعض الاحاديث التى فيها ذكر الفتن قوله صلى الله عليه و سلم منها فتنة عظيمة تكون فى أمتى لا يبقى بيت من العرب الا دخلته تصل الى جميع العرب قتلاها فى النار و اللسان فيها أشد من وقع السيف و فى رواية ستكون فتنة صماء بكماء عمياء يعنى تعمى بصائر الناس فيها فلا يرون مخرجا و يصمون عن استماع الحق من استشرف لها استشرفت له و فى رواية سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته و ذكر العلامة السيد علوى بن أحمد بن حسن ابن القطب السيد عبد الله الحداد باعلوى فى كتابه الذى ألفه فى الرد على ابن عبد الوهاب المسمى جلاء الظلام فى الرد على النجدى الذى أضل العوام و هو كتاب جليل ذكر فيه جملة من الاحاديث منها حديث مروى عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه و سلم أسنده الى النبى صلى الله عليه و سلم قال فيه سيخرج فى ثانى عشر قرنا فى وادى بنى حنيفة رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق براطمه يكثر فى زمانه الهرج و المرج يستحلون أموال المسلمين و يتخذونها بينهم متجرا و يستحلون دماء المسلمين و يتخذونها بينهم مفخرا و هى فتنة يعتز فيها الارذلون و السفل تتجارى بينهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه قال و لهذا الحديث شواهد تقوى معناه و ان لم يعرف

من خرجه ثم قال السيد المذكور فى الكتاب الذى مر ذكره و أصرح من ذلك أن هذا المغرور محمد بن عبد الوهاب من تميم فيحتمل أنه من عقب ذى الخويصرة التميمى الذى جاء فيه حديث البخارى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال ان من ضئضئ هذا أو من عقب هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام و يدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد فكان هذا الخارجى يقتل أهل الاسلام و يدع أهل الاوثان ❋ و لما قتل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الخوارج قال رجل الحمد لله الذى أبادهم و أراحنا منهم فقال على رضى الله تعالى عنه كلا و الذى نفسى بيده ان فيهم لمن هو فى أصلاب الرجال لم تحمله النساء و ليكون آخرهم مع المسيح الدجال و جاء فى حديث عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ذكر فيه بنى حنيفة قوم مسيلمة الكذاب و قال فيه ان واديهم لا يزال وادى فتنة الى آخر الدهر و لا يزال من فتنة من كذا بهم الى يوم القيامة و فى رواية ويل لليمامة ويل لا فراق له و فى حديث ذكر فى مشكاة المصابيح سيكون فى آخر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسمعوه أنتم و لا آباؤكم فاياكم و اياهم لا يضلونكم و لا يفتنونكم و أنزل الله فى بنى تميم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون و أنزل الله فيهم أيضا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى قال السيد العلوى الحداد المذكور آنفا ان الذى ورد فى بنى حنيفة و فى ذم بنى تميم و وائل شئ كثير و يكفيك ان أغلب الخوارج و أكثرهم منهم و أن الطاغية ابن عبد الوهاب منهم و ان رئيس الفرقة الباغية عبد العزيز بن محمد بن سعود من وائل و جاء عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال كنت فى مبدا الرسالة أعرض نفسى على القبائل فى كل موسم و لم يجبنى أحد جوابا أقبح و لا أخبث من رد بنى حنيفة قال السيد العلوى الحداد لما وصلت الطائفة لزيارة حبر الامة عبد الله بن عباس رضى الله عنه اجتمعت بالعلامة الشيخ طاهر سنبل الحنفى ابن العلامة الشيخ محمد سنبل الشافعى فأخبرنى أنه ألف كتابا فى الرد على هذه الطائفة سماه الانتصار للاولياء الابرار و قال لى لعل الله ينفع به من لم يدخل بدعة النجدى قلبه و أما من

دخلت فى قلبه فلا يرجى فلاحه لحديث البخارى يمرقون من الدين حتى لا يعودون فيه و
أما ما نقل عن بعض العلماء أنه استصوب من فعل النجدى جمع البدو على الصلاة و ترك
الفواحش الظاهرة و قطع الطريق و الدعوى الى التوحيد فهو غلط حيث حسن للناس فعله و
لم يطلع على ما ذكرناه من منكراته و تكفيره الامة من ستمائة سنة و حرق الكتب الكثيرة
و قتله كثيرا من العلماء و خواص الناس و عوامهم و استباحة دمائهم و اموالهم واظهار
التجسيم للبارى تبارك و تعالى و عقده الدروس لذلك و تنقيصه النبى صلى الله عليه و سلم
و سائر الانبياء و المرسلين و الاولياء و نبش قبورهم و أمر فى الاحساء أن تجعل بعض قبور
الاولياء محلا لقضاء الحاجة و منع الناس من قراءة دلائل الخيرات ❋ و من الرواتب و الاذكار
و من قراءة مولد النبى صلى الله عليه و سلم و من الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم
فى المنابر بعد الاذان و قتل من فعل ذلك و كان يعرض لبعض الغوغاء الطغام بدعواه النبوّة
و يفهمهم ذلك من نحو كلامه و منع الدعاء بعد الصلاة و كان يقسم الزكاة على هؤلاء و
كان يعتقد أن الاسلام منحصر فيه و فيمن تبعه و أن الخلق كلهم مشركون و كان يصرح
فى مجالسه خطبه بتكفير المتوسل بالانبياء و الملائكة و الاولياء و يزعم أن من قال لاحد
مولانا و سيدنا فهو كافر و لا يلتفت الى قول الله تعالى فى سيدنا يحيى عليه السلام و
سيدا و لا الى قول النبى صلى الله عليه و سلم للانصار قوموا لسيدكم يعنى سعد بن معاذ
رضى الله عنه و يمنع من زيارة النبى صلى الله عليه و سلم و يجعله كغيره من الاموات و
ينكر علم النحو و اللغة و الفقه و التدريس بهذه العلوم و يقول ان ذلك بدعة ثم قال السيد
علوى الحداد فى كتابه المتقدم ذكره

﴿و الحاصل﴾ أن المحقق عندنا من أقواله و أفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد
الاسلامية لاستحلاله أمورا مجمعا علي تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل
سائغ مع تنقيصه الانبياء و المرسلين و الاولياء و الصالحين و تنقيصهم تعمدا كفر باجماع
الائمة الاربعة اهـ و تقدم انه عاش من العمر اثنين و تسعين سنة ٩٢ لان ولادته كانت
سنة ١١١١ احدى عشر و مائة و ألف و هلاكه سنة ألف و مائتين و ستة ١٢٠٦ و أرخ

بعضهم وفاته بقوله بدا هلاك الخبيث سنة ١٢٠٦ و خلف أولادا و أقاموا بالدعوى بعده عبد الله و حسن و حسين و على و كانوا يقال لهم أولاد الشيخ و كان عبد الله اكبرهم فقام بالدعوى بعد أبيه و خلف سليمان و عبد الرحمن و كان سليمان متعصبا أكثر من أبيه فقتله ابراهيم باشا سنة ١٢٣٣ و قبض على عبد الرحمن و بعثه الى مصر فعاش مدة بمصر ثم مات بمصر و أما حسن بن محمد بن عبد الوهاب فخلف عبد الرحمن و ولى قضاء مكة فى بعض السنين التى كانوا يحكمون فيها بمكة و عاش عبد الرحمن دهرا طويلا حتى قارب المائة و مات قريبا فخلف عبد اللطيف و أما حسين بن محمد بن عبد الوهاب فخلف أولادا كثيرين و لم يزل نسلهم باقيا الى الآن بالدرعية يعرفون باولاد الشيخ و نسأل الله أن يهديهم للصواب ﴿لطيفة﴾ كان رجل صالح من علماء البلدة التى تسمى بالزبير اسمه الشيخ عبد الجبار يصلى اماما فى مسجد تلك البلدة فاتفق ان اثنين تجادلا فى شأن هذه الطائفة بعد ان جاء ابراهيم باشا الى الدرعية و دمرها و دمر من فيها فقال أحد الرجلين المتجادلين لابد أن يرجع أمر هذا الدين كما كان و ترجع هذه الدولة كما كانت فقال الآخر لا يرجع أمرهم أبدا كما كان و لا ما كانوا عليه من البدعة ثم اتفقا على انهما يذهبان فى غد و يصليان صلاة الصبح خلف الشيخ عبد الجبار و ينظرون ما ذا يقرأ بعد الفاتحة فى الركعة الاولى ويجعلان ذلك فألا يحكمان به فيما اختلفا فيه فذهبا وصليا خلفه فقرأ بعد الفاتحة فى الركعة الاولى و حرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون فعجبا من ذلك و رضيا بذلك الفأل حكما و الله سبحانه و تعالى

أعلم و صلى الله على سيدنا محمد

و على آله و صحبه و سلم

تسليما تمت

سنة ١٢٩٩